فن السيرة الذاتية

بين رصد الواقع وجماليات السرد الأدبى

«أنا» للعقاد أنموذجا

دكتورة

وفاء إسماعيل عبدالرازق البردان

مدرس الأدب والنقد بجامعة للأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم :

إن الإنسانية اليوم تمر بمرحلة من مراحل التطور فى نوعها، فقد فقدت التقاليد سلطانها الذى كانت تفرضه على حياة النفس، وأصبح من واجب رجال الفكر والأدب والفلسفة والدارسين أن يعيدوا بناء هذا العالم، وتنظيم عناصره الثابتة والمتغيرة، بما فى ذلك عنصر تقديس « النظام » الذى لابد منه كى لاتجتاح المجتمع موجة من الفوضى والاضطراب، ويجب أن يكون البناء الجديد قائما على أسس من العقل والحكمة.

.. وفن "السيرة الذاتية" له تأثير كبير فى إقامة مثل هذا البناء الإنساني لأن الأديب حين يصور حياته الباطنة، وسيرته الذاتية عقليا وانفعاليا والخارجة من منظور رؤاه هو . فإنه يثرى حياة العقل الإنسانى بوجه عام والمعرفة السيكولوجية ودراسة الطبيعة البشرية والخبرة الإنسانية بوجه خاص، ويتأكد ذلك إذا كانت حياة هذا الأديب ثرَّةً مثل حياة "**عباس محمود العقاد**".

والحديث عن حياة "العقاد" كالحديث عن حقيقة كونية، فمهما تباينت فيه الآراء وتفرعت عنه مذاهب القول، فلا جدال فى أنه عبقرية إنسانية فذة، تتجدد آثارها على مر الزمن، ويزيدها تأمل العقول، وفتح الألباب جلاء ووضوحا.

.. لم تكن حياة العقاد كحياة أىِّ أديب فى عصره، إذ كان صاحب رسالة نحت نفسه من الصخر، ولم يتخل عن قيمه، ولم تثبط همته فى الدفاع عنها طيلة حياته ويزيد هذه الحياة قيمة ومكانة، أنه صاحب قلم جريء لا يهاب أحدا ويحارب به كل ظلم وفساد.

كان العقاد عصامياً فى نشأته وجهاده، وهو فى كل ما حصَّله من علوم وفلسفات وآداب، كان أستاذ نفسه، وولى أمره، ومدرسة فكرية جامعة ومكتبة نفسية حافلة بالاطلاع الواسع.

وقد رصد العقاد مسيرة حياته فى كتابين "**أنا**" و"**حياة قلم**" وعند تَفَرُّسِي لهذين الكتابين، وجدت أن كتاب "أنا " يُعد بحق سردا لسيرته الذاتية أكثر من كتاب "حياة قلم" ؛ لأن كتاب "أنا" احتوى على صور من حياته ونشأته وطفولته وتعليمه وتجاربه ومواقفه وجاء تسجيلا لكل مرحلة من مراحل حياته الزمنية وهذه الجوانب جميعها أسس هامة يقوم عليها فن السيرة الذاتية، أما "حياة قلم" فهو يمثل الجانب الفكرى والسياسي للعقاد، ويصور معاركه الفكرية والسياسية أكثرممايعرض للجوانب الإنسانية والحياتية. ومن ثَمَّ آثرت أن أتناول هذا الكتاب، إذ وجدت فيه "العقاد الإنسان" كما عَرَفهُ هو، وكما أحبّ أن يَعْرِفَهُ الناس عَنْهُ.

وقد جاءت دراستى فى تمهيد وفصلين وخاتمة :

* فى التمهيد عرَّفت مفهوم السيرة الذاتية، والفرق بينها وبين الأنواع الأدبية القريبة منها، كما تناولت نشأتها وتطورها، وذكرت الأسباب والدواعي لكتابتها.

* وفى الفصل الأول : تحدثتُ عن حياة العقاد من خلال رصده للواقع الذى عاشه وبدأت بإلقاء الضوء على طفولته ونشأته وتعليمه، كما بينت دور الأب والأم فى حياته ملمحة إلى أبرز " الجينات الوراثية " التى ورثها عن كل منهما. وعرَّجتُ على انتقالاته فى عمله من وظيفة حكومية إلى اشتغاله بالصحافة وانتقاله للتدريس ثم بينت ما مر به من تجارب ومواقف، وما كان له من صلات وعلاقات ثم عرضت آراءه الخاصة في الحياة، وفى الإيمان وفى العمل، وفى الحب، وفى الزمن...إلخ ورصدت ما مرَّ بذهنه من ذكريات خالدة، وأيام جميلة عاشها فى كل مرحلة من مراحل حياته.

وفى الفصل الثانى : تناولت جماليات السرد الأدبى فى كتابه "أنا" فأشرت إلى ما اتَّسم به الحكي من براعة فنية تمثلت فى اختيار العنوان، إذ رغب العقاد فى عنوان "عني" ولكن بدل إلى "أنا" والذى تمثلت فيه ذاتيته المحورية والمركزية، كما أظهرت حرص العقاد على سرد الأحداث بطريقة فنية شائقة، مزج فيها بين ارتداده الزمنى للماضى، وتوقفه أمام بعض الأحداث وتوالى بعضها فى صورة

تلقائية طبيعية، واعتماده على عنصرى الحركة والإثارة، كما عرضت الشخصيات التى اختارها العقاد للظهور فى حياته فذكرت الشخصيات النسوية والذكورية الرئيس منها والثانوى.

ثم أشرت إلى لوحتيْ الزمان والمكان وما عكساه على حياة العقاد من إيجابيات وسلبيات.

كما ألمحت إلى اهتمام العقاد باللغة وتفرده بأسلوب خاص عُرف به بين أدباء عصره وفسرت طريقته المنهجية فى كتاباته المتنوعة.

وفى الخاتمة لخصت أبرز ما توصلت إليه من ثنايا دراستى هذه.

واللهَ أسالُ أن ينفع به قُرَّاءَ العربية ومحبي أدبها

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

لا تقتصر الفنون الأدبية على الشعر والقصة والمسرحية بأنواعها المختلفة وإن كانت هذه هى الأنواع الكبرى الذائعة منذ أقدم العصور، فإن هناك فنوناً أخرى، لا تقل رواجاً فى السوق الأدبية، وتستحق منا العناية والدراسة، ومن هذه الفنون « فن السيرة الذاتية ».

السيرة فى اللغة:

هى الطريقة أو السنة والهيئة، وسار الوالى فى الرعية سيرة حسنة، وأحسن السير، وهذا فى سِيَر الأولين.

وقال خالد بن زهير:

فَلا تَغْضَبَنْ مِنْ سُنّةٍ أَنْتَ سِرْتَها فأوّلُ راضِيّ سُنةٍ مَنْ يَسِيُرهَا[1]

السيرة فى الاصطلاح: تعددت التعريفات حول المفهوم الاصطلاحى « للسيرة الذاتية ».

يقول "فيليب جون" فى تعريفها « إنها حكْي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية، وعلى تاريخ شخصيته [2].

ويعرفها « ستاروبنسكي » قائلاً: « هى سيرة شخص يرويها بنفسه »[3]

---

(١) مادة: سيرة لسان العرب لابن منظور /ص٣١٨ ومعجم الصحاح / إسماعيل بن حماد الجوهرى ص٥٢٧ / ودائرة المعارف الإسلامية / سليمان باشا الشام / ص٦٠١٤ م ط. مركز الشارقة.

(٢) السيرة الذاتية « ميثاق وتاريخ» / فيليب لوجون / ترجمة عمر حلمى / ص٢٢ / المركز الثقافى العربى ١٩٩٤ ط (الأولى).

(٣) سيرة الغائب / شكرى المبخوت /ص٩/ ط. دار الجنوب للنشر والتوزيع ١٩٩٢ (الأولى).

ومن الباحثين العرب الذين عرَّفوا هذا الفن الأدبى تعريفاً قريباً من هذا المفهوم الأستاذ محمد عبد الغنى حسن إذ يقول: « السيرة الذاتية، أو الشخصية هى أن يكتب المرءُ بنفسه تاريخَ نفسه فيسجل حوادثَه وأخبارَه، ويسردُ أعماله وآثاره، ويذكر أيامَ طفولتهِ، وشبابهِ، وكهولتهِ وما جرى له فيها من أحداثٍ، تعظُمُ وتضؤُلُ تبعاً لأهميته » (١).

إذن السيرة الذاتية هى: قصة حياة إنسان يرويها بنفسه، ولكن ذلك لا يعنى أن كل حديث يسرده الإنسان عن نفسه، هو سيرة ذاتية إذ هى ليست حديثا ساذجاً عن النفس، ولا هى تدوين للمفاخر والمآثر، كما أنها لا يمكن أن تكون مجموعة من الأحداث أو الأخبار المتناثرة، التى لا يربط بينها خيطٌ من المنطق أو التسلسل، إذ لابد لها من بناء فنى.

فالسيرة الذاتية الفنية هى التى يصوغها صاحبها فى صورة مترابطة، على أساس من الوحدة والاتساق فى البناء والروح، وفى أسلوب أدبى قادر على أن ينقل إلينا محتوى وافيا كاملاً عن تاريخه الشخصى، على نحو موجز حافل، بالتجارب والخبرات المتنوعة الخصبة. « وهذا الأسلوب يقوم على العرض، وحسن التقسيم، وعذوبة العبارة، وحلاوة النص الأدبى، وبث الحياة والحركة فى تصوير الوقائع والشخصيات، وفيما يتمثله فى حواره مستعينا بعناصر ضئيلة من الخيال، لربط أجزاء عمله، حتى تبدو سيرته الذاتية فى صورة متماسكة محكمة » (٢).

---

(١) لتراجم والسير / محمد عبد الغنى حسن / ص ٢٣ / ط للثالثة دار المعارف القاهرة ١٩٨٠١/ والسيرة الذاتية فى الأدب العربى / محمود أبو الخير / مجلة « أفكار» / عدد ٤٩ / ص ٦ سنة ١٩٨٠م

(٢) الترجمة الذاتية فى الأدب العربى الحديث / يحيى إبراهيم عبد الدايم / ص ١٠ / مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ١٩٧٥م.

لذا اختلف مفهوم «السيرة الذاتية » عن « الترجمة الذاتية » والفرق بينهما قائم على الإيجاز والإطناب.

* فالسير الذاتية لا يمكن أن تأتى فى صفحات معدودة، أو أنها تكون أشبه بشهادة ميلاد صاحبها فهذه ليست صفة السيرة الذاتية على الإطلاق إنما هى صفة الترجمة الذاتية.

* أما « الترجمة الغيرية: « هى التى تبحث عن الحقيقة فى حياة إنسان فذ، وتكشف عن مواهبه، وأسرار عبقريته من ظروف حياته التى عاشها والأحداث التى واجهها فى محيطه، والأثر الذى خَلَّفه فى جيله» (١).

.. وعند محاولة رصد العلاقة بين السيرة الذاتية والترجمة الغيرية، نجد أن معظم الباحثين، قد أجمعوا على أن أهم فرق بينهما هو:

- أن السيرة الذاتية يتم فيها التطابق بين السارد، والشخصية الرئيسية والمبدع. أما الترجمة فلا يمكن أن يتطابق فيها المبدع مع الشخصية الرئيسية (٢).
- كاتب السيرة يقدم الشخصية من الداخل إلى الخارج
- أما كاتب الترجمة، فإن يقدم الشخصية من الخارج إلى الداخل (٣).
- كاتب السيرة يصور لنا مادة منتزعة من ذاته، لذلك فإنه يتعامل معها بحُنوٍّ وعطف.

(١) التاريخ والسير / حسين فوزى النجار / ص ١٤ / ط. دار القلم ١٩٦٤.
(٢) « سيرة الغائب سيرة الآتى / شكرى المبخوت /١٦.
(٣) السير تاريخ وفن / ما هر حسن فهمى / ٢٥٣ / ٢ دار القلم « الكويت » ١٩٨٣.

- أما كاتب الترجمة فإنه يستقى مادته من العالم المحيط، لذلك فإنه يقف منها موقف الشاهد.
- أما كاتب السيرة الذاتية، فعليه أن يؤدى دور الشاهد والقاضي معاً [١].

*** السيرة الذاتية والأنواع القريبة منها:**

تختلف السيرة الذاتية عن الأنواع القريبة منها من مثل " المذكرات واليوميات "

المذكرات: من حيث المادة هى أوسع مدى من السيرة الذاتية، وكاتبها يُعْنَى فيها بتصوير الأحداث التاريخية، أكثر من عنايته بتصوير واقعه الذاتي[٢].

وهو بذلك يخالف كاتب السيرة الذاتية الذى يُعْنَى بواقعة الذاتى أكثر من عنايته بالأحداث.

اليوميات: هى سجل للتجارب والخبرات اليومية، وحفظ الأخبار والأحداث الحياتية للشخص [٣]. وهى تختلف عن السيرة الذاتية، فى أن الأحداث ترد فيها على شكل متقطع غير رتيب.

نشأتها وتطورها:

ليس فن " السيرة " من مبتكرات عصرنا الحاضر، بل هو فن عريق قديم عرفه العرب قديماً.

---

(١) أدب السيرة الذاتية / عبد العزيز شرف / ص٦/ط. مكتبة لبنان.

(٢) الترجمة الذاتية فى الأدب العربى الحديث /ص٣.

(٣) السيرة الذاتية فى الأدب العراقى الحديث منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى بداية الحرب العالمية الثانية / أنعام عبد الله شعبان /ص٣٨ /ط. الجامعة المستنصريه بغداد ١٩٩٠ وكتابة " الذات " / حاتم الصكر / ص ١٩٣ / ط: دار الشروق – عمان – الأردن ١٩٩٤.

ويبين شوقى ضيف أقدم صورة للسير الذاتية وهى ما كان ينقشه القدماء على شواهد قبورهم إذ يقول:

" واشتهر المصريون فى عصور الفراعنة بكثرة ما نقشوا على قبورهم وأهراماتهم، وفى معابدهم و هياكلهم من تواريخهم، وكانت تسرى هذه الروح فى الأمم القديمة من حولهم [١].

ومن الذين رأوا أن بذور السيرة الذاتية نشأت قديما منذ العصر الجاهلى " كارل بروكلمان " إذ يقول " كان عرب الجاهلية يفخرون بذكر أسلافهم وأيامهم وأنسابهم، وكان سمرهم يجرى على رواية أيامهم»[٢].

وفى العصر الإسلامى وجدت أول قطعة من السيرة الذاتية وهى « مارواه سلمان الفارسى عن نفسه » وقد أورد هذه القطعة الخطيب البغدادى فى كتابه تاريخ بغداد، وأسندها إلى ابن عباس » [٣]. ومن بعدها تناثرت قطع من السير الذاتية فى كتاب « الأغانى » لأبى الفرج الأصفهانى وأقدمها سيرة الشاعر الأموى «نصيب» وسيرة «إبراهيم الموصلى » (١٨٨هـ).

ومعظم هذه السير لا يوجد بينها أى نوع من الترابط، لكنها فى مجموعها تصور بعض السمات الفنية. ورصدت بعض المصادر هذا الفن الأدبى، من مثل كتاب « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » لابن أبى أُصَيْبعِةَ، وذكر فيه « سيرة حنين بن اسحق» وسيرة ابن الهيثم « وسيرة ابن سينا ». ومن الأدباء الذين ترجموا لأنفسهم فى القرن (السادس الهجرى – الثانى عشر الميلاد) (العماد الأصبهانى) و (ابن الجوزى).

(١) الترجمة الشخصية / شوقى ضيف / ص ٧/ط. الرابعة – دار المعارف القاهرة ١٩٨٧م.
(٢) مشكلة الإنسان / زكريا إبراهيم / صـ٣٦/ ط – القاهرة.
(٣) نفس المصدر السابق / صـ ٣٧.

وتطور هذا الفن فى القرن السابع الهجرى، بحيث صار سنة متبعة بين كثيرين، واستمر فى النمو والازدهار حتى مطلع القرن العشرين، وخاصة عندما شهدت الساحة العربية أحداثا واضطرابات، وأطماعا استعمارية، كانت كفيلة باستثارة وعي الإنسان العربى بذاته، مما ساعد على نمو الشعور بالذات، والإحساس بالفردية التى حثت الأديب على كتابة سيرته الذاتية، وهذا الأمر ليس بالسهولة، لأن نداءات العالم مغرية والانغمار فى دنيا الناس أسهل من الهبوط إلى أعماق الذات.

يقول « رلكه »: « لابد من قدرة كبيرة وقوة عظمى، لكي يستطيع المرء أن يقبع فى ذاته ولا يلتقى بأي مخلوق آخر، ما عدا نفسه ساعاتٍ طوالاً»[١]. فكاتب السيرة الذاتية يضع «ذاته» موضع الاختبار، إذ ليس للإنسان سوى ذاته بدليل أن الحقائق اليقينية إنما هى تلك التى تنبع من صميم الذات. إن المرء يحيا بمفرده وليس للآخرين أى دخل جوهرى فى صميم حياته وموته، وصحيح أن كاتب السيرة الذاتية يعيش فى مجتمع ما و يحقق ضربا من الاتصال بينه وبين الآخرين عن طريق اللغة والتعاطف و المواقف المشتركة، والدور الاجتماعى الذى يلعبه، ولكن لا ينفذ إلى صميم وجوده هو، أو يندمج اندماجا حقيقيا فى باطن ذاته.

والذات بطبيعتها فردية، وفرديتها هى العلامة المميزة لذلك الموجود، الذى يستطيع وحده أن يقول «أنا» [٢].

❁❁❁

(١) مشكلة الإنسان / زكريا إبراهيم /ص٣٦.
(٢) أدب السيرة الذاتية / عبد العزيز شرف / ١٦.

أسباب كتابة السيرة الذاتية:

فن السيرة من الفنون المركبة، التى تتطلب التصريح عن خبايا النفس البشرية، يقول على أدهم: « إننا نتردد أن نكشف عن نفوسنا، ونبيح دخائلنا، أو مقاتلنا لأعين الناس، ونعرضها فى الطريق، ونملأ بأخبارنا الأسماع، ونشغل الناس بأنفسنا [١].

ويلجأ الإنسان إلى هذا الفن عند

- شعوره بالألم والمعاناة، إذ إنْ الألم هو الذى يضطر الذات، إلى أن تخلع على حياتها معنى، والألم دافع لكتابة « السيرة الذاتية ».
- ويكتب الإنسان سيرته استجابة لدوافع خارجية، وهذه الدوافع تتمثل بالرغبة فى تعليم الآخرين، وتوجيههم، وذلك يحدث عندما يرى كاتب السيرة الذاتية أن حياته تصلح أن تكون عبرة للآخرين.
- يكتب الإنسان سيرته الذاتية دفاعاً عن النفس، وذلك حين تتوجه أصابع الاتهام إليه » ففى هذه الحالة يكتب سيرته، ليبرِّر أفعاله أمام الآخرين.
- يكتب الإنسان سيرته الذاتية عندما يشعر بوقع الزمن الذى يهدده، ويعرض مشروعه للتلاشى، فى مرحلة ما من مراحل الحياة، فإنه يجد فى كتابة سيرته الذاتية الفضاء الأوسع لقطع مواقفه تجاه حياته.
- ويقول جورج ماى: « إن السيرة الذاتية تنشأ عن رغبة الكاتب فى استعادة مسار حياته » ليدركه وليهنأ باله، بما ينتهى إليه من نتائج تطمئنه، إلى أنه رغم الحوادث والتناقض، والفشل والنكوص على الأعقاب، والتردُّد

(١) مشكلة الإنسان / زكريا إبراهيم / ٣٧.

والتنكر لا يزال كما كان، وأن الهوية الأثيرة « للأنا» لم يمسسها سوء.» [١]

❁❁❁

(١) مشكلة الإنسان / زكريا إبراهيم / صـ٣٧.

المبحث الأول

رصد الواقع من خلال « أنا » للعقاد

رصد الأديب الكبير عباس محمود العقاد سيرة حياته، فى عدد من الفصول، نُشر مفرقا فى مجلات الهلال، والمصور، والقافلة [١]، ثم قام على جمعها فى كتاب عنون بعنوان (أنا).

وربما نتصور أن كتابة هذه الفصول مفرقة، ونشرها على هذا النحو وإن كان معظمها نشر فى مجلة الهلال، قد لا يؤديان بها مجتمعة إلى ما يكون عليه العمل الأدبى، الذى تتصل كتابته من التماسك والوحدة.

ولكن نستطيع أن نقول: إن العقاد حين نشر تلك الفصول المفرقة عن نفسه، إنما كان يصدر فيها عن تصور شامل لكتاب يترجم فيه لنفسه،أو يقدم فيه سيرة حياته وهذا ما ذكره فى قوله:

« سأكتب هذا الكتاب، وسيكون عنوانه «عني» وسيتناول حياتى من جانبين:

الأولى: حياتى الشخصية بما فيها من صفاتى وخصائصى نشأتى وتربيتى البيتية والفكرية وآمالى و أهدافى، وما تأثرت به من بيئة وأساتذة وأصدقاء، وما طبع أو انطبع فى نفسى من إيمان وعقيدة ومبادئ، أو بعبارة أخرى « عباس العقاد الإنسان » الذى أعرفه أنا وحدى، لا « عباس العقاد» كما يعرفه الناس ولا « عباس العقاد » كما خلقه الله.

الثانى: حياتى الأدبية والسياسية والاجتماعية المتصلة بمن حولى من الناس أو بالأحداث التى مرت بي، وعشت فيها وعشت معها وخضت معها، وخضعت بسببها عدة معارك قلمية، وكانت صناعة القلم أبرز ما فيها، ولعلي

(١) قافلة الزيت هى مجلة علمية أدبية تصدر عن شركة أرامكو للزيت بمدينة الظهران بالسعودية.

أبدا بالجانب الأول الذى هو « أنا » لأنه أقرب إلى الكتابة، وبخاصة وأنا فى نهاية الحلقة السادسة من عمري [١].

..... من هنا يتضح أن العقاد حين شرع فى كتابة تلك الفصول عن نفسه كان يدرك أنه بصدد أن يكتب سيرة ذاتية، وأن عناصر هذه السيرة كانت واضحة فى ذهنه وأن عليه أن يرصد الواقع الذى عاشه ويعايشه فاستهل حديثه بمقولة للكاتب الأمريكي « وندل هولمز » إذ يقول: إن الإنسان كل إنسان بلا استثناء إنما هو ثلاثة أشخاص فى صورة واحدة:

*** الإنسان كما خلقه الله.**

*** الإنسان كما يراه الناس.**

*** الإنسان كما يرى هو نفسه.**

ويقول: إنني لن أتحدث بطبيعة الحال عن عباس العقاد كما خلقه الله، فالله جل جلاله هو الأولى بأن يُسألَ عن ذلك، ولن أتحدث عن « عباس العقاد» كما يراه الناس، فالناس هم المسئولون عن ذلك. ولكن سأتحدث عن « عباس العقاد » كما أراه فهو شخص مختلف كل الاختلاف عن الشخص الذى يراه الكثيرون من الأصدقاء أو من الأعداء ؛ هو شخص أستغربه كل الاستغراب حين أسمعهم يصفونه أو يتحدثون عنه، حتى ليخطر لي فى أكثر الأحيان، أنهم يتحدثون عن إنسان لم أعرفه قط، ولم ألتق به مرة فى مكان [٢].

.... فقد كان شائعاً بين الناس أن العقاد رجل مفرط الكبرياء، مفرط القسوة والجفاء، وأنه رجل منقطع للكتب، لا يباشر الحياة كما يباشرها الناس وأنه يملكه سلطان المنطق والتفكير، ولا سلطان للقلب أو العاطفة عليه وأنه شديد الصرامة، فلا تفترُّ شفتاه بضحكة واحدة إلا بعد الاستغفار.

---

(١) « أنا » / عباس محمود العقاد / المقدمة / ٤.

(٢) نفس السابق / صـ٢١.

كان هذا هو الشائع عنه، وأراد أن ينكره جملة وتفصيلا إذ يقول: « أقسم بكل ما يقسم به الرجل الشريف أن عباس العقاد هذا رجل لا أعرفه، ولا رأيته، ولا عشت معه لحظة واحدة، ولا التقيت به فى طريق، ونقيض ذلك هو الأقرب إلى الصواب » (١).

لقد اختار العقاد أن تكون سيرته تصحيحا عن صورته المغلوطة لدى الناس وتكون صورته الحقيقة مدخلاً إلى الحديثة عن سيرته الذاتية وكأنه يقدم ما يبرِّرُ كتابة سيرته.

الطفولة والنشأة:

بينما مصر تحاول النهوض على قدميها إثر ما أصابها من كارثة الاحتلال الإنجليزي، إذا بالقدر يختار لها طفلاً من أقصى الصعيد، مع من اختارهم لها من قبله ومن بعده ليتمثلوا روحها، ويكتبوا لها مجدها الأدبى، وقد مضى القدر يعينه بكل الأسباب و الخصائص التى تُذكِى قريحته وتُرِيش أجنحته. وكان أول ما أعانه به مسقط رأسه «أسوان » بلدة الشلال الذى يزأر زئير الأسود، ويهدر هدير الرعود، وبلدة أنس الوجود معبد إيزيس وغيره من المعابد التى تشرف فى أفنيتها على شواهق الزمن السحيق والتاريخ العريق، وبلدة أول رحالة لأسلافنا الفراعين الذين كشفوا « الجنوب قبل لفينجستون وستانلى وغيرهما من الغربيين بآلاف السنين، وبلدة بئر « إراتستين » الذى هداه قبل ميلاد المسيح بنحو قرنين إلى قياس محيط الأرض قياسا دقيقا ظل إلى اليوم أُحدوثةَ العالمين » (٢).

(١) أنا / للعقاد / صـ٢١.

(٢) مع العقاد / شوقى ضيف / ١٠/ ط. دار المعارف.

فى هذه البلدة العريقة ولد عباس محمود العقاد يوم ٢٨ يونيو سنة ١٨٨٩م، ونشأ فى بيت علم ودين (بين أبوين محافظين أشد المحافظة على سمت الوقار واللياقة).

ولم يكن عباس هو الابن الوحيد لهما، بل كان له إخوة أشقاء وغير أشقاء إذ يقول: « كان والدى متزوجا قبل والدتى، ثم ماتت زوجته، وبعدها تزوج أمى، ولى شقيقة واحدة نحبها جميعا وهى متزوجة وتعيش فى القاهرة إلى جوارى، أما إخوتى غير الأشقاء فهم جميعا أكبر منى سنا، وبعضهم يعيش فى القاهرة، والبعض الآخر فى أسوان » (١).

* يحدثنا العقاد عن (أبيه) حديثا مفصلاً نذكر منه.. السبب فى إطلاق لقب العقاد حيث كان يعمل جده لأبيه بصناعة الحرير، فكان يعقد الحرير، ومن هنا أطلق عليه الناس اسم العقاد.

ويتذكر أباه في صورة تكررت فى ذاكرته آلاف المرات، صورته وهو على مصلاه يؤدى صلاة الصبح ويجلس على سجادة الصلاة من مطلع الفجر إلى ما قبل الإفطار، ليتلو سورا خاصة من القرآن، ويعقبها بتلاوة الدعوات يقول العقاد: « كانت جلسة أبى فى الصباح الباكر هى التى انطبعت فى ذاكرتى، لأنها كانت أول ما استقبله من الدنيا كل صباح » (٢).

ويصفه بالشِّدةِ وبالجِدِ، ومن المواقف التى تشهد له بالجِدِّ والصرامة. غضبه من العقاد عندما كان يراه وهو فيما دون الثامنة من عمره، يجلس فى المنزل مع قريباته، وخالاته وجارات المنزل، فينهره ويطلب منه أن يجلس بين أمثاله... يقول العقاد:

« ومن هم أمثالى... ؟ شيوخ فيما بين الأربعين والسبعين كانوا يَسْمُرُونَ معه فى المندرة ويقضون الوقت فى أحاديث الشيوخ عن السياسة تارة، وعن فضل

(١) أنا / العقاد / ٢٤.
(٢) أنا / للعقاد /٢٥.

الأسر الكبير تارةً أخرى، وقلما يمزحون أو يتفكهون إلا ثابوا إلى وقارهم كالمعتذرين » [١].

ومن أمثلة الجدِّ الشديد التقليلُ من شأن الصور الفوتوغرافية، حيث كان ينظر إليها كأنها ألاعيب فارغة لا تليق بالعقلاء، فلم يتخذ له صورة قط ولم يوافق العقاد على شراء صورة من صور الفصول المدرسية التى كانت ترسم للمدرسة كل عام.

ويذكر العقاد أباه، إذ كان أمينا للمحفوظات بإقليم أسوان... وكانت أسوان خارجة من القلاقل الجِسام التى حاقت بها فى حرب الدراويش، فمعظم أبنائها الأغنياء كانوا يتجرون فى السودان فانقطعوا هناك بعد انقطاع المواصلات، وذهبت الوثائق، فلم يدر أحد ما ذهب منها وما بقى بدار المحفوظات، وتداولت هذه المحفوظات أيد كثيرة على غير انتظام فى التسليم والتَسَلُّم، وكثر المُدَّعون للأرض والعقار اعتماداً على ضياع الوثائق، وغياب المالكين، وموت الوارثين.

وهنا إشارة من العقاد لمكانة أبيه فى عمله، يهدف من خلالها إلى وصفه بالأمانة، واحتقاره للمال الذى يُكْسب عن طريق غير مشروع، إذ يقول:

« لو شاء أبى فى هذه الفترة أن يخفى ويظهر، وأن يقبل المساومة والإغراء، لقاسم الكثيرين فيما يدَّعون، أو فيما يملكون، ولكنه أوصد الباب فلم يطمع فيه طامع، وسلَّم دار المحفوظات: لمن بعده، وهى مَثَلٌ فى الدقة والضبط، وسهولة المراجعة والإحصاء » [٢].

ويذكر العقاد صفة ورثها عن أبيه ألا وهى حرصه على سمعته وكرامته وهذه السمعة، ملأت الآفاق عندما سلم عمله لمن بعده، وشهد له الجميع بالأمانة، أما الكرامة فتظهر فى حديثه عن حمار أبيه الذى كان يستخدمه كوسيلة انتقال من قرية إلى قرية، حين كان معاونا للإدارة، فلما استقر فى المدينة باعه

(١) أنا / للعقاد / ٢٦

(٢) نفس السابق / ٢٨.

لأحد المكارين [١]، وكان الحمار مشهورا بالسرعة وهدوء الحركة، فكان المستأجرون يطلبون ويقولون للمكارى، هات العقاد . هات العقاد، فلما سمع بذلك عاد فاشتراه، وقبل المغالاة فى ثمنه على غير حاجة إليه.

ويختتم العقاد حديثه عن أبيه بقوله: إننى مَدِينٌ له بالكثير، وإننى لم أرث منه مالاً يغنينى، ولكن استفدت منه مالا أُقِّدره بمال » [٢].

* وكما أفرد حديثه عن أبيه وجدناه يتحدث عن (أمه) إذ ورث صفات عنها أكثر من صفاته الموروثة عن أبيه.

ومن هذه الصفات سلامة بنيتها التى ورثتها عن أبيها، وحب الصمت والاعتكاف، الذى كان يظنه بعض الناس كبرياء وغطرسة إذ يقول العقاد:

« لم يكن صمتها نفخة أتراك، بل كانت طبيعة تورث، وخلقه بغير تكلف، ولم أر فى حياتى امرأة أصبر على الصمت والاعتكاف من والدتى، فربما مضت ساعة وهى تستمع من جاراتها وصديقاتها وتجيبهن بالتأمين، أو بالتعقيب اليسير » [٣].

ومما ورثه عنها أيضا قوة الإيمان والعزيمة والإرادة التى تمثلت فى تماسكها عند مرض العقاد وهو فى الثلاثين من عمره، إلى درجة أن البعض تبين احتضاره فإذا هى متماسكة متحاملة على نفسها، حيث اقتربت من ابنها وبثت فيه قوته التى عهدتها فيه أمام قوة المرض، وصلابته مما اعترضه، وإذا به يستجيب ويشفى.

ولئن كان للأبوين الفاضلين أشباه كثيرون بين الآباء، فإن الابن عباس العقاد، قلَّ أن يوجد مثله نظير.

---

(١) المكارين: جمع مكارى وهو العربجى.

(٢) أنا / للعقاد / ٢٩.

(٣) نفس السابق / ٢٩.

فقد تفرَّد فى طفولته بأشياء أظهرتها الحوادث، ومنها حبه وميله للعزلة وبعده عن العبث والتهريج الرخيص منذ حداثته، وتأمله للطيور، وتعقبه لرحلاتها فى الفضاء، وعدم مبالاته بأحاديث الناس وما يتبعه من ثرثرة ونميمة.

كانت والدة عباس العقاد هى النموذج الأمثل للمرأة عنده إلى درجة تمنيه أن يحظى بزوجة مثلها إذ يقول محدثا أمه عندما كانت تلحُّ عليه بالزواج: « لو وجدت لى زوجة مثلك تزوجت الساعة. ولم أكن مجاملاً والله ولا مراوغاً، فإننى لا أنسى كمال تدبيرها لبيتها منذ صباها وكنا بفضل تدبيرها هذا، ننتفع بالجورب حتى بعد أن يرث ويبلى، فإنه عندئذ يصلح كرة محبوكة، ويغنينا عن شراء الكرات التى لا تحتمل أقدامنا مثل احتمالها » [١].

*** ذكريات الطفولة الخالدة:**

تستدعى الذاكرة فى ذهن العقاد ذكريات له وهو دون العاشرة وتبدو هذه الذكريات كأنها إرها صات ذهنية منها.

- رحلته النيلية الأولى قاصدا ضريح ولى من أولياء الله لوفاء نذر لفدية، وشربه فى ذلك اليوم للقهوة الملونة بالبن، المشبعة بالسكر.
- تذكره لأول فتاة أعجب بها وهو فى العاشرة، حيث رأى فتاه أوربية تسير وسط مدينة أسوان على غير عادات السائحين والسائحات ويتذكر العقاد ملابسها ومشيتها التى جعلته يتبعها ويقتفى إثرها إذ يقول: « إنها كانت تدير على خصرها حزاماً أو مِشدَّاً، لا يزيد قطره على بضعة قراريط، وتخطر فى الطريق الوعر، كأنها أغصان الشجر بقدمى قطاة، ولم أكن أفهم يومئذ أن نحافة الخصر جمال محبوب، ولكننى فهمت أنه أعجوبة نادرة... ولو أننى مصور لاستطعت اليوم أن أصور هذه الفتاة من الذاكرة، فلا أخطئ منها لمحة يثبتها المصور على قرطاسه » [٢].

(١) أنا للعقاد / ٢٣.

(٢) أنا للعقاد / ٢٩.

وتتلاحق ذكريات الطفولة فى ذهن العقاد، إذ يذكر حرفيا مقولة الشيخ محمد عبده له عند زيارته للمدرسة، وعند إطلاعه على كراسة الإنشاء حيث أبدى إعجابه بأسلوبه وأظهر هذا الإعجاب فى قوله: « ما أجدر هذا أن يكون كاتبا بعدُ ».

ويقول العقاد: « ونطق (بعدُ) بضم الدال غير واقف على السكون، ولم أزل أذكر ذلك حتى عللت به وقوف زعيمنا « سعد زغلول » على أواخر الكلمات محركة غير ساكنة، وقلت إنها مدرسة واحدة تحرص على تحريك أواخر الكلمات أنفة من الهرب على حد قول القائلين « سكن تسلم » [١].

وللعيد مظاهره من فرحة وسعادة تشمل كيان الطفل، فترسم على وجهه الابتسامة لذا كان للعقاد فيه ذكريات، منها الملابس الجديدة وأخذ العيدية... ويتذكر مقولة أبيه، وتحذيره بألا يطلب أحد منهم العيدية ممن يزورهم من أقارب. إلا إذا بادروا هم بإعطاهم العيدية.

❁❁❁

الأساتذة واستشفاف المستقبل:

عندما بلغ عباس سن السابعة ألحقه أبوه بالمدرسة الابتدائية، ويصف عباس نظام التعليم وقتها إذ يقول:

« كان زعيم مصر الكبير سعد زغلول رحمه الله، يعد من نظام التعليم فى الجامع الأزهر على عهده،أنه كان نظاما يسمح للطالب أن يختار أساتذته ويجلس فى الحلقة التى يروقه أن يجلس فيها، وليس فى هذا النظام ضرر على الأخلاق مادام طلب العلم هو الغرض الخالص للأساتذة والتلاميذ » [٢].

(١) نفس السابق / ٤٠.
(٢) أنا/ للعقاد/ ٤٧.

ويبدو أن هذا النظام قد ساعد عباس فى تكوينه الشخصي والذى بدا واضحاً فى عدة مواقف منها:

- رفضه أن يلبس البنطلون القصير كزملائه وأقربائه عند دخوله المدرسة الابتدائية فى السنة الأولى، وكان أصغر التلاميذ سنا.
- رفضه مع قلة قليلة أن يضاف إلى اسمه اسم آخر ليس فى شهادة الميلاد اتباعاً لتقليد جرى بالتلقيب بأسماء تركية شهيرة مثل، حلمى وصبرى وحسنى، وما كاد عباس يسمع هذا اللقب المستعار حتى أصر على رفضه رفضا باتا إباءَ وشَمَمَا واعتزازا بلقب أسرته.
- ومن مواقفه التى بدت واضحة ومتأصلة فيه عند اختلاطه بزملاء المدرسة أنه كان إذا غاضبه بعض التلاميذ وشتمه بأبيه عمد إلى ضربه، وإذا قيل له: لماذا لا تشتمه كما شتمك، قال: وهل أبوه كأبي ؟.

* هذه المواقف وغيرها... هى التى جعلت من عباس التلميذ عباس العملاق فى فكره وأدبه، والمختلف عن أقرانه فى حداثة السن، والمتميز على معاصريه من أدباء العصر ومفكريه.

وقد عرض عباس فى سيرته المراحل الأولى من تعليمه... والتى أثرت فى تكوينه النفسى أبلغ الأثر، الذى ظل فى ذاكرته أمدا طويلا. إذ يتحدث عن إفادته التعليمية من (أستاذين)

الأول: قد أفاده وهو قاصد. **الثانى:** أفاده عن غير قصد منه والأول: هو مدرس اللغة العربية والتاريخ وهو الشيخ محمد فخر الدين والذى استفاد منه حب الابتكار والإبداع عند كتابته لموضوع الإنشاء يقول العقاد:

« إنه كان يبغض الصيغ المحفوظة، ويَنْحَى بالسخرية والتقريع على التلميذ الذى يعتمد عليها، ويمنح أحسن الدرجات لصاحب الموضوع المبتكر أما درسه

فى التاريخ درساً فى الوطنية فعرفنا تاريخ مصر، ونحن أحوج ما نكون إلى شعور الوطن، والاعتزاز بتاريخه »[١].

هذا عن الأستاذ الأول ذو الإفادة المقصودة، أما الثانى: فهو مدرس الرياضيات، ولم يذكر العقاد اسمه، ويذكره بالمدرس المطبوع وقتئذ إذ كان محدود الفهم فى دروسه، وخاصة المسائل العقلية فى الحساب ويسرد عباس بحديثه عما شغف به من علوم حسابية، خاصة المسائل العقلية، التى كانت تحتاج إلى فكر عميق، وذكاء واقد، قلما تواجدا عند أستاذ المادة، الذى كان يحفظ هذه المسائل بحلولها، ويعيدها على التلاميذ فى كل سنة، وقد أملى على العقاد وزملائه مسألة صعبة، عجز هو عن حلها حيث ذكر أن هذه المسألة لا تحل بالحساب، إنما تحل بالجبر.. ولكن عباس سهر عليها حتى حلها، وغدا فى الصباح يذكر حلها لمعلمه، وكان عجبه شديداً إذ رآه بدلاً من أن يثنى عليه يوبخه، وردد معه الرفقاء التوبيخ والاستخفاف لما ضيع من وقتهم الثمين.

يقول العقاد:

« كانت هذه الصدمة خليقة أن تكسرنى كسراً لو أن اجتهادى كان محل شك عندى، أو عند الأستاذ، أو عند الزملاء أما وهو حقيقة لاشك فيها، فإن الصدمة لم تكسرنى بل نفعتنى أكبر نفع حمدته فى حياتى، وصح فيها قول نيتشه « إن الفضل قيمته فيه، لا فيما يقال عنه – أيّاً كان القائلون . ولم أحفل بعدها بإنكار زميل أو رئيس » [٢].

ويفرد عباس حديثاً مفصلا فى سيرته عن الشيخ **أحمد الجداوى** وهو من أبناء أسوان، وحضر العلم فى الأزهر، وزامل الأستاذ محمد عبده أيام الأفغانى، وتولى الجداوى القضاء فى قنا، ثم تولى إدارة التعليم فى أسوان.

---

(١) أنا للعقاد / ٤٧.

(٢) أنا للعقاد /٥٠ / ومع العقاد / شوقى ضيف / ١٢.

وتعلم عباس من أستاذه الجداوى الكثير من العلوم والآداب، منذ أن كان يصحبه أبوه إلى مجلسه، فاستمع لأول مرة حديثا عن الثورة العرابية وخطيبها عبد الله النديم، وكثيرا ما كان يورد الشيخ الجداوى على رواد مجلسه «المطارحات الشعرية التى كان يرويها من المتقدمين والمتأخرين، ويدلل عباس على براعة الجداوى بقوله:

« إذا اجتمع خمسة أو ستة من الأدباء، كان لكل منهم أن يقترح بيتا، كان الشيخ الجداوى هو الذى يرد عليهم جميعا فيسكتون فى النهاية وهو لا يسكت ولا ينضب معينه وكان كثيرا ما يتعمد التعجيز فيذكر فى رده بيتين أو ثلاثة أو أربعة » (١).

يقول عباس:

« وقد حببت مجالس الجداوى الأدب إلى نفسى لأول مرة ورغبت أن أتخذه فنا أضرب فيه بسهم، كما ضرب فيه الأستاذ، وصِرْتُ من ذلك الحين مهتما بحفظ الشعر، ومطالعة كتب الأدب » (٢).

ويذكر العقاد أول الأبيات الشعرية التى نظمها وهو دون الحادية عشر وهى:

عِلْمُ الحِسَابِ لَهُ مَزَايَا جَمَّةٌ ... وبِهَ يزِيدُ المَرْءُ فِي العِرفَانِ

النَّحوُ قَنْطَرَةُ العُلُوم جَمِيعُهَا ... وَمُبِينُ غَامِضِهَا وَزَيْنُ لِسَانِ

وَكَذَلِكَ الجُغْرَافِيا هَادِيةُ الفَتَى ... لِمَسالِكِ البُلْدَانِ والوِدْيَانِ

وَإِذَا عَلِمْتَ لِسَانَ قَومٍ يَافَتَى ... نِلْتَ الأَمَانَ بِهِ وأىُّ أَمَانِ

نلحظ أن هذه الأبيات كانت باكورة لشاعر عظيم، جمع فيها العلوم وفائدتها فى أربعة أبيات منسقة فى لفظها، جيدة فى سبكها.

(١) أنا / للعقاد / ٥١.

(٢) نفس المصدر السابق /٥٢.

كانت هذه هى العلوم المتعارف عليها فى المدرسة،إلى جانب بعض الأنشطة التى كان التلاميذ يمارسونها ويشاركون فيها، وتعد من قبيل المواد المطلوبة الأخرى... مثل مادة (الرياضة البدنية) وكان العقاد يؤثر أن يتغيب عن الحصة حتى لا يحضر تمرينات الجمباز والكرة... ولم يكن العقاد وقتها يدرك أهمية هذه الرياضة وما تكسبه للجسم من قوة بدنية ونشاط وخُلَّوٍ من الأمراض إذ يقول:

« ولو أنى أعطيتها جانبا من الوقت، إلى جانب الأوقات التى أخذها المعري وشركاؤه لاسترحت فى بدنى من بعض تلك المتاعب » [(١)].

وللعقاد وقفات طويلة مع الشيخ **محمد عبده** الذى سمع به قبل أن يلقاه فى مجالس الجداوى، وعندما رآه فى المدرسة عند زيارته لها، أثنى على كتابته فى موضوع الإنشاء، وتنبأ له بمستقبل أدبى كبير.

وترك هذا الثناء أثرا كبيراً فى نفس عباس لم يَنْسَه، بل ظل يذكره ويردده بين الحين والآخر.

وأراد عباس أن يعرف الأستاذ محمد عبده أكثر، ورأى أن يقتدي به فى خلقه قبل علمه.... فقد عرف عنه غيرته على الحق، ونجدته للضعيف وقلة اكتراثه للقيل والقال وطريقة تفكيره السياسى إذ يقول عنه:

« أنا مدين بخطتى فى السياسة الوطنية لإعجابى بالشيخ محمد عبده ومريديه، فإعجابى به هو الذى عظم فى نفسى الثقة بسعد زغلول، يوم كان الفتيان من عمرى كلهم أنصارا لمصطفى كامل، وعبد العزيز جاويش وأتباعاً لهما فى الحملة على سعد زغلول » [(٢)].

---

(١) أنا / للعقاد / ٢٠٤ والعقاد الرجل والقلم / أحمد ماهر البقرى / ٢١ ط. دار المعارف ١٩٨٤م – الثانية.

(٢) أنا / للعقاد / ٥٤

لقد استشف الشيخ محمد عبده فى عباس النجابة والذكاء، والرصانة فى الأسلوب عندما عرضت عليه كراسته ليقرأها. وعلم وقتئذ أنه سيكون له شأن فى الكتابة والأدب. وبفضل كلمات التشجيع هذه أصبح العقادُ .. عقادَ الأدبِ والفكر إذ يقول:

« إننى أؤمن بكلمات التشجيع التى يتلقاها الناشئ فى مطلع حياته ممن يثق بهم، ويعتز برأيهم فيمضى وجهته على يقين من نجاحه » (١).

ومن الظروف التى مهَّدت الطريق للعقاد منذ حداثته، إصداره لأول صحيفة مدرسية سماها **التلميذ** محاكاة لصحيفة **الأستاذ** النديم وافتتحها بمقال عنوانه « لو كنا معكم لما فعلنا فعلكم » معارضا لمقال الأستاذ النديم المشهور « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا ».

وقد لقيت الصحيفة قبولاً من بعض رفقاء عباس كما أثنوا على ما فيها من مقالات وموضوعات.

ومن المصادفات المسجلة فى ذاكرة عباس والتى تركت أثرها فى نفسه، وساعدته على اكتشاف ذاته، ومعرفته بقدرته الأدبية، عندما طلب مدرس الخط « الشيخ مصطفى عاصم منهم أن يكتبوا بالخط النسخ موضوعاً إنشائيا عن : « وصف المدرسة التى يتعلمون فيها »، وقد نسي عباس أن يكتب الموضوع، لأن هذا الطلب كان نافلة، وليس إجباريا ولم يتذكر المطلوب منه، إلا قبيل الحصة بقليل، عندما نبهه أحد رفقائه، وعلى عجل أخرج عباس كراسة التجارب، وكتب الموضوع، وعندما قرأه الشيخ مصطفى وقف عنده طويلاً وأشار بعض التلاميذ أنه كتبه فى اللحظة وقد ظن العقاد أن الموضوع لم يعجب الشيخ، وكان رده المؤثر الفعال عندما قال:

« إن هذا أدلُّ على الإجادة وحسن الاستعداد »

(١) نفس السابق / ٥٧

ومما ذكره العقاد فى سيرته أن اتجاهه للكتابة لم يكن من قبيل المصادفة لأنها وحدها لا تجعل الكاتب كاتبا ناجحا، ولابد لها من مقومات تُعزِّزُهَا وتؤازرها وذكر بعض الأشياء التى أهَّلَتْه إذ يقول:

« اتجاهي إلى الكتابة قد تلاقت فيها كلمات التشجيع مع مؤاتاة الظروف، والرغبة الكامنة فى الطوية من أيام الطفولة، ولا أقول من أيام الصبا أو الشباب؛لأننى عرفت أننى أحب الكتابة وأرغب فيها قبل العاشرة [١].

وعلى الرغم من كل هذه الإرهاصات التى كانت تؤهل عباس ليكون كاتباً وجدنا وجهته الأولى كغيره وجهة حكومية.

عمله فى الحكومة:

تعد هذه المرحلة مهمة فى حياة العقاد، لأنها تمثل « نقطة تحول فى حياته. كان طبيعيا وقتئذ أنه عندما يتخرج الشاب من مدرسته أن يبحث عن الوظيفة مصدر الرزق، وهذا ما حدث لعباس، إذ عمل فى أول وظيفة له بمديرية الشرقية فى القسم المالي.

وترك الوظيفة ليلتحق بأخرى فى ديوان الأوقاف، ورضى بها عباس حيث كان الديوان حينئذ مجمعا للأدباء والشعراء، وقد ظل فى الديوان سنتين، وأخذ يتنقل من وظيفة إلى أخرى كأنه يبحث عن شيء عزيز.. يبحث عن ملكاته الأدبية، أين يجد لها الجو الملائم لظهورها. فلم يكن العقاد ذو الأفق الواسع المتحرر، والخلق النبيل، والشخصية الفذة ليُقَيِّدَ نفسه بأمراس الوظيفة، ويسجل العقاد فى سيرته مواقف وتجارب كثيرة، عاشها أثناء عمله بالوظائف الحكومية. ولنذكر الموقف الذى أنهى به عمله الحكومى، إذ كان يتعمد ألا يتسلم المكاتبة بعد الثانية عشر عندما كان يعمل كاتبا بالقلم، ليدون المكاتبة فى دفتر خاص، ثم

(١) أنا / للعقاد / ٥٧.

يعطى لكل مكاتبة رقما مسلسلا، ثم يتولى إرسالها بالبريد، ولم يعجب ذلك رئيس القلم ووكيله، فتعمد التوقيع على البريد فى وقت متأخر قبيل الموعد الرسمى، ليتأخر العقاد بعده بكثير واعَدهُ العقاد نوعاً من الاضطهاد وقرر النيل منهما، فنظم قصيدة هجاء أورد فيها اسميهما فتناقلها الموظفون، قال فيها:

شَـــــفِيقٌ أَمْسَـــــى رَئِيســـــاً وَيُوسُـــــفُ قَـــــدْ تَسَـــــامَى
مَـــــا بَـــــالُ ذاكَ وَهَـــــذَا تَرَأَّسَـــــا الْأَقْلاَمَـــــا
فَيَـــــا لَـــــهُ مِـــــنْ مُصَـــــابٍ يَزِيـــــدُنَا إِيْلاَمَـــــا [1]

ولم يكن رئيس القلم ووكيله من سعة الصدر، بحيث يراعيان الحال النفسية التى اضطرت الموظف الشاب إلى نظم هذا الشعر فيهما، بل قابلاه بالشدة حين رفعا الأمر إلى القضاء عجزا منهما أن يدفعاه بالحكمة، وعلى إثر هذه الواقعة... قدم العقاد استقالته سنة ١٩٠٠.

وعزم ألا يعمل مرة أخرى بالحكومة « حتى عندما عرض عليه سعد زغلول قبل أن يُتَوَفَّى بشهرين وظيفة « مدير دار الكتب » بدلاً من لطفى السيد رفض على حبه للكتب لأنها «وظيفة » كما رفض عرض محمد محمود أن يكون عميدا لكلية الآداب، كما رفض عرض النحاس وكالة وزارة الداخلية»[٢].

ويقول العقاد: « ومن السوابق التى أغتبط بها، وأحمد الله عليها أننى كنت – فيما أرجح أول موظف مصري استقال من وظيفة حكومية بمحض إرادته » [٣].

عمله بالصحافة:

(١) العقاد "حياة وقلم" / ٣٥.
(٢) أدباء فى صور صحيفة / محمد نصر / ص ٣٤ / ط. مصر ١٩٦٥.
(٣) أنا العقاد / ٦١.

بَعْدٌ استقالة العقاد من الوظائف الحكومية، شجاعة نادرة، تدل على ثقة بنفسه، واستعداده الطيب أن يسبق ويسبق « فبدلاً من أن يحبس قلمه فى قالب محدود فى رسائل الصادر والوارد، فإن فى الصحافة سعة وقد عرفها منذ أن كان تلميذا، وعرفها وهو بوزارة الأوقاف، فلم يلق قلمه لأن الكتابة أشرف وسائل التنفيس عن النفس » [١].

وكانت أولى الجرائد التى عمل بها « الدستور »، لصاحبها محمد فريد وجدى، و قد اشترك فى تحريرها فى نحو السادسة عشرة تقريبا، من أول عدد حتى احتجابها. ومنذ بداية عهده الصحافى ظهر تحفظه واحترامه للكلمة يخطها، من ذلك أن رثت صحفية الدستور « مصطفى كامل » أبلغ رثاء، ولكن العقاد لم يشأ أن يشترك فى ثناء خلو من نقد سياسة الزعيم، فيما يرى قبل الآستانة وقبل الخديو، والسيادة العثمانية [٢].

ومن انتقاده لمصطفى كامل إلى ثنائه على سعد زغلول الذى أطلق للكاتب حرية التعبير، إذ يقول العقاد:

« لازمت سعداً سنوات، ووافقته كثيرا كما يعلم القراء، فلا أذكر يوما أن طلب منى، أو طلب من غيرى أمامى أن يكتب فى رأى بغير ما نراه، وإنما كان أسلوبه فى هذه الحالة أن يفتح باب المناقشة فيما يريد الكتابة فيه، فإن خالفناه وأقنعناه لم يطلب منا الكتابة، ولم يلمح إلى طلبها أقل تلميح، وكثيرا ما كان يتلطف فيقول: أنت جبار المنطق يا فلان [٣].

(١) حياة قلم / ٥٢.
(٢) نفس السابق / ٤٧.
(٣) العقاد الرجل والقلم / ص ٣٩.

- وعمل عباس بجريدة الأهالى بالإسكندرية بعد أن ترك الدستور، وهذه الجريدة – الأهالى – أنشاها محمد باشا سعيد، رئيس الوزراء وتركها العقاد، ولم يأسف على تركها لانتهاجها خطة لا تتفق وصالح البلاد [١].
- وعمل بعدها بجريدة الأهرام فترة محرراً ومترجما [٢].
- وعمل بعدها بجريد البلاغ، وقد أغلقت مرة لما يكتبه العقاد من مقالات شديدة اللهجة عن الحكومة، فلما طلب إليه صاحبها تخفيف حملاته على وزارة الوفد تخلى العقاد عنها فى فبراير ١٩٢٩م [٣].
- وعمل بعدها بجريدة « كوكب الشرق » والتى تركها أيضا، إذ نجده يقول:« تركت الكوكب لأن صاحبه أراد أن يحصل من وزارة الحقانية على الإذن بنشر الإعلانات القضائية، فاشترطوا عليه أن يخرجنى من الصحيفة مقابل الإعلانات ففعل [٤].
- ولم يجد العقاد غير وسيلة واحدة لاستمرارية عمله الصحفى، فعمل على إنشاء جريدة (الضياء) سنة ١٩٣٦، ولكنها لم تدم طويلا خوف الخسائر المالية.
- وعاد العقاد يتنقل من جريدة إلى أخرى فعمل بجريدة «الأساس» مع صديقه محمود فهمى النقراشى، وعمل بعدها فى صحيفة « الكتلة » مع مكرم عبيد.
- نلحظ ما عاناه العقاد من التنقلات من جريدة إلى أخرى ومرجع هذه التنقلات إباء العقاد لأى تنازلات يحسها قبل أن تعرض عليه، ولو أن

(١) حياة قلم/ العقاد / ص ١٧٠.

(٢) مع العقاد فى ظل العقيدة الوطنية / محمد طاهر الجبلاوى/ص١١ / ط. العلوم بالقاهرة ١٩٧١م.

(٣) نفس السابق / ١٩.

(٤) من ذكرياتى / العقاد/ ص ١٠٥.

أحدا غيره فى مكانه لما حدث له مثل ما حدث للعقاد وهذا يرجع إلى شخصيته الأبية التى ترفض كل باطل أو بهتان ونلمح فلسفته العقلانية من قوله: « إن تقلبى فى الوظائف، وتقلب الأحوال عليَّ كان نعمة، لأنه أنفع لتربية نفسى من فترات الهدوء والاستقرار » (١).

عمله بالتدريس:

بعد تقلبات الأحوال فى الصحافة والتى اتبعها بتنقلاته الكثيرة من صحيفة إلى أخرى وجدنا العقاد يبحث عن وظيفة، لا يحس فيها الرئيس بالاستعلاء الكاذب مهتما بالشكليات والماديات أكثر من اهتمامه بالحق والحقيقة.

... فوجد أن مهنة التدريس خير مهنة، يستطيع من خلالها أن يقوم بأداء رسالته هو وغيره من ذوى الفكر والعلم والأدب.

وعمل مع صديقه « المازنى » فترة وجيزة من الزمن فى مهنة التدريس بالقاهرة إذ كان لهما من سعة المعارف، والاستعداد الأصيل، ما يؤهلهما لهذه المهنة ولكنهما لم يستمرا زمنا، لمعرفتهما فى ناظر المدرسة التى يعملان بها اهتماما زائداً بالمادة وإساءة بالغة فى إدارة المدرسة فاستقالا معا » (٢).

... وهكذا كان العقاد يضيق بالرؤساء المتعجرفين، الذين يفضلون مصالحهم واهتماماتهم المادية على سواها.

وعلى الرغم من هذا لم نلمح فى موقف من المواقف العديدة، أو فى أزمة من الأزمات التى مرَّ بها العقاد، ضعفا، أو خضوعا، أو فتورا بل وجدناه دائما.. عملاقا فى تصرفاته، جبارا فى آرائه، غير هيَّابٍ لما يحدث له، وكان دائما يرى خصومه أمامه أقزاما.

---

(١) حياة قلم / ١٢٨.

(٢) فى صحبة العقاد / محمد طاهر الجبلاوى / ٤٠/ط.دار الجيل – القاهرة ١٩٦٤.

التكوين الثقافى والمعرفى:

كان للعقاد تكوين ثقافي ومعرفى لم يحظ به أحد غيره.... فلم نجد أديباً أو مفكرا أو فيلسوفا كتب، وقرأ، واطلع، وأنتج من فنون المعرفة والآداب أكثر من العقاد، فكان بحق موسوعة معرفية شاملة يتحدث العقاد عن هذا التكوين الذى لم ينشأ من فراغ، بل كانت له عوامل وأسس ساعدت على اكتماله ونضجه.

ومن أول هذه العوامل والتى يَعُدها « العقاد » أهمها : « قلمه »، ولم يكن قلما واحداً، بل كانت ثلاثة أقلام ، كل واحد منهم كان يمثل قيمة ومغزى فى حياته.

إذ يقول:

« احتفظت بأقلام ثلاثة، كان لاحتفاظي بكل منها سبب وتاريخ، وكان كلٌّ منها باياً لصاحبيه فى سببه وتاريخه: قلم احتفظت به، لأنه كان هدية من إنسان أعزِّه، وكان قد كُتِبَ به قصيدة من شعرى فى وصف ليلة على النيل، ثم أُهدِىَ إلى القلم والصحيفة المكتوبة بخطه.

وقلم ثان... كتبت به الفصول الأولى من كتابى عن « ابن الرومى » ثم أدركنى وأدركه شؤم الرجل، وسوء طالعه، فدخلت السجن ودخله معى حيث قضى فيه تسعه أشهر، ولكن فى مخزن الأمانات.

وقلم آخر أخرجته لخَصْمٍ من خُصومى السياسيين، وأقسمتُ له لتسقطنَّ الوزارة النسيمية قبل أن ينبرى هذا القلم »[1].

وذاكرة العقاد لا تنسى ولا تتغافل هذه الأقلام، وما صاحبته من أحداث فلم ينس ملازمةَ النَّحسِ لقلمه الثانى، إذ يقول:

زَامَلَنِـــى فِـــى السِّـــجنِ ذَاكَ القَلَـــمُ وَنَالَـــهُ مَـــا نَـــالَنِى مِـــنْ قَسْـــمِ [1]

(١) أنا / ٦٦.

ويتحدث « عباس » عن ميله إلى القراءة، وشغفه بالاطلاع والمعرفة وقد كان للعقاد طلعة يقيس الشباب – وهو أمل كل إنسان – بمدى شعوره الدافق نحو الحياة، وحبه الغامر للمعرفة، إذ يقول: « والمقياس الواحد الذى أقيس به جهدى فى جميع أدوار حياتى هو النَّهَمُ على المعرفة، فإننى لا أذكر سِنَّاً لم أكن فيها أحب أن أعرف وأن أقرأ، وأن أختبر، وأن أفيد من كل ذلك توسعةً فى آفاق الشعور [٢].

ويوضح العقاد فى سيرته أسباب حبه للقراءة، وأن هذا الحب كفيل بألا يجعله منعزلاً عن الحياة إذ يقول:

« إنما أهوى القراءة، لأن عندى حياة واحدة فى هذه الدنيا، وحياة واحدة لا تكفيني، وتحرك كل ما فى ضميرى من بواعث الحركة، والقراءة وحدها هى التى تعطيني أكثر من حياة واحدة فى مدى عمر الإنسان الواحد، لأنها تزيد هذه الحياة من ناحية العمق، وإن كانت لا تطيلها بمقادير الحساب » [٣].

ولم يكن العقاد مقتصراً فى قراءته على تخصص بعينه، أو على كتب بعينها إذ وسَّعت اهتماماته المعرفية، كما وسَّعت نظرته إلى الحياة، فإذا هو يراها كُلاً متكاملا يعين بعض مظاهرها على فهم بعضها الآخر.

فمثلا (غرائز الحشرات بحث فى أوائل الحياة، وفلسفة الأديان بحث فى الحياة الأبدية الخالدة، وقصيدة الغزل أو الهجاء قبسان من حياة الإنسان فى حالى الحب والنقمة، ونهضة الأمم أو ثورتها هما جيشان للحياة فى نفوس الملايين، وسيرة الفرد العظيم معرض لحياة إنسان ممتاز بين سائر الناس »[٤].

---

(١) أنا/ ٦٨.

(٢) نفس السابق /١٥٨.

(٣) نفس السابق /٧١.

(٤) أنا /١١١/ وفى بيتى/ ص٢٤.

... ويشبه العقاد التنوع المعرفى والثقافى بالتنوع الغذائى المطلوب، إذ يقول:

إن الكتب طعام الفكر، وتوجد أطعمة لكل فكر، كما توجد أطعمة لكل بنية، ومن مزايا البنية القوية أنها تستخرج الغذاء لنفسها من كل طعام، وكذلك الإدراك القوى يستطيع أن يجد غذاءً فكريا فى كل موضوع، وعندى أن التحديد فى اختيار الكتب إنما هو كالتحديد فى اختيار الطعام، وكلاهما لا يكون إلا لطفل فى هذا الباب، أو مريض، فا قرأ ما شئت تستفد إذا كان لك فكر قادر أو معدة عقلية تستطيع أن تهضم ما يلقى فيها »[١].

* ومع هذا التنوع المطلوب فى الكتب، وجدناه يفضل بعضها على بعض فأفضل الكتب لديه: كتب فلسفة الدين، والتاريخ الطبيعى، وتراجم العظماء، وكتب الشعر.

وليس اطلاعه على الكتب اطلاعاً متعجلا لا يقفه على جليّةِ معدنها وجوهرها إنما هو اطلاع ودراسة وبحث وتحليل.

يقول العقاد:

« فقد أتناول الكتاب وأبدا فيه حيث أبدا إذا كان من غير الكتب التى يلتزم فيها الترتيب والتعقيب، فيستوقفنى رأى أو عبارة تفتح لى بابا من البحث والروية، فأمضى معها وأطويه، فلا أنظر فيه بقية ذلك اليوم، أو أنتقل منه إلى كتاب آخر » [٢].

... ولم تكن سعة إطلاع العقاد وحدها سر امتيازه، وإنما كانت قدرته على إدراك مواطن الإبداع والاستفادة منها لأول مرة، سبباً هاماً فى ظهور الرجل

(١) نفس السابق / ٧١.
(٢) الفصول / ٩٥.

وامتيازه. يقول العقاد: « الاستخفاف بكل ملاحظة ما لم تؤد إلى نتيجة يشبه الاستخفاف بكل شيء [١].

* إن الدقة وقوة الملاحظة واليقظة ومعرفة القيمة الفكرية والثقافية عن حق، كانت أسلحة العقاد فى قراءاته.

كتب الرحلات:

كتب الرحلات أو كتب السياحة من الكتب التى كان يميل إلى قراءتها العقاد، لأنها تطلع الناس على عجائب البلدان وتزودهم بمعين من الثقافة والمعرفة عن البلدان الأخرى يقول العقاد عن الجَني من ثمرات هذه الكتب:

« لا تعرف الحياة الإنسانية حق عرفانها، إلا إذا عرفت الصلة التى بين العصور المختلفة، والأقطار المتباعدة، وعرفت الواشجة التى تجمع بينها على تعدد المصادر وتفاوت المؤثرات » [٢].

مكتبة العقاد:

كانت مكتبة العقاد أشبه بدائرة معارف جامعة لكل أنواع المعرفة، إذ بلغت عدد كتبه حوالى أربعين ألفا، عاقته عن أن يغير بيته الذى كان يعيش فيه، وفى ذلك يقول العقاد: « إنها الكتب وما أعانيه فى نقلها وترتيبها من العناء الذى لا يوكل إلى آخرين،..... لقد بزَّ العقادُ سائرَ كُتَابِ عصرهِ نتيجة اطلاعاته الكثيرة والمتنوعة، وجعلت منه سجلا للمعلومات، فلا يوجه إليه سؤال فى ندوة، أو على صفحة جريدة حتى يجيب عليها، يعينه على ذلك، اطلاع واسع ومعرفة شاملة، وذاكرة حافظة واعية « ومنهج أكاديمي يؤهله إلى مكان الصدارة بل الريادة فى العالم » [٣].

تقول الأستاذة عواطف عبد الجليل:

(١) العقاد الرجل والفلم /٢٥.
(٢) بين الكتب والناس / ٢٦١.
(٣) العقاد « الرجل والقلم / ٢٤.

منهج العقاد..... علماء الأدب « وجدت أن المدرسة الحديثة فى غرب أوربا الآن تتجه بكاملها إلى منهج العقاد، علماء الأدب لابد لهم من دراسة العلوم البحتة والتطبيقية فى بعض الأحيان، وبعدها يتجهون إلى التخصص العلمى والأدبى، وقد فعل هذا كله العقاد من تلقاء نفسه، وهو الإنسان الذى انحدر من أعماق الصعيد ليثبت للدنيا كلها أن جذور العلم غائرة فى أرض الوادي » (١).

إن منهج العقاد لا يكون كافيا فقط للتطبيق أو التدريس، إنما أيضا طريقته فى الكتابة التى جعلت الجميع يبحثون عن سر هذه الطريقة التى أبدعت وأنتجت ثمارا يانعة من ثمرات العلم والفكر والأدب.

يقول العقاد: وطريقتى فى الكتابة « وبخاصة المقالات » أن أبدأ المقال وفى ذهنى جميع أصوله، و « نُقَطَهِ » مرتبة على الجملة حسب التسلسل المنطقى، ولكن إذا مضيت فى الكتابة عرضت لى حاشية من هنا، أو لمحة من هناك، تطرأ فى عرض الكلام ولا تغير شيئا من جوهر المقال إلا أن تزيده جلاء فى بعض الأحيان، أو تضيف إليه عنصر الفكاهة والتبسيط.

ويقول أيضاً: « وخطتى في المناقشة أن أعمد إلى أقوى الحجج بداءة فاجتهد فى تقويضها، ثم أقفوها بأضعف الحجج، وقد أعود إلى ما فيه مساك من القوة » (٢).

... ومنهجه فى كتابته للمقالات لا يختلف عن الكتب، سوى الخلاف الضرورى بين الإيجاز والإطالة، وبين التشعب ووحدة الموضوع.

وعلى الرغم من ثراء ما كتبه العقاد وعظمة ما أنتجه من نتاج فكرى وأدبى وعلمى وجدناه يذكر فى سيرته كتبا تمنى لو طال به العمر أن يكتبها. ومن هذه الكتب: كتاب يبحث فيه عن فلسفة الإمام الغزالى، الفيلسوف الذى

(١) الجمهورية – السنة ١١/عدد ٣/١٦ / ١٩٦٤.
(٢) أنا / ٧٧.

صارع الفلاسفة والفقيه الذى يؤدب الفقهاء، والمتصوف الذى يكشف عن عالم الخفاء، كما يكشف عن عالم الشهادة.

- وكتاب يبحث فيه عن موازين النقد فى الشعر وفلسفة الجمال.
- وكتاب يبحث فيه عن زعيم الأمة « سعد زغلول» وعن مسيرته السياسة، رغم أنه كتب كتابا عنه وأفاض بالحديث فيه، إلا إنه كان يدعو نفسه قبل غيره أن تظل سيرة هذا البطل باقية خالدة ليست فى مؤلف واحد، إنما سلسلة من المؤلفات.

تجارب ومواقف:

يعرف الإنسان نفسه عندما يعرف حدود هذه النفس، ومعرفة النفس لَيْستْ بالأمر الهين. وكثير من الناس يعيشون ويموتون ولا يعرفون عن أنفسهم شيئا وهناك أناس يعيشون ويكون هدفهم فى الحياة. البحث والمعرفة ولذا نجدهم يتركون بصمات واضحة بعد مماتهم، وإن كان الفناء فناءً جسديا، إلا أن أعمالهم خالدة باقية شاهدة على علمهم ومعرفتهم.

والعقاد واحد من هؤلاء الذين عركتهم الحياة وعاشوا بين الناس ليعرف ويفهم ويبحث، ويكتب كل ما توصل إليه ويثبته فى كتبه، ومقالاته.

وتعليم العقاد لم يكن فى جامعة أو كلية أو معهد، إنما مدرسته الأولى هى مدرسته الابتدائية، ومدرسته الثانية بل جامعته الثانية هى الحياة، وقف العقاد أمام الحياة دارساً لها، فاهما إياها، عارفا خباياها لذا وجدناه عملاقا شامخا صامدا، ولم نعرفه منكسرا ضعيفا مهزوما حتى إن البعض أطلق عليها ألقابا عديدة منها:« الكاتب الجبار» و « هرقل العظيم » و« عملاق الفكر العربى ». وهذه الألقاب لا تطلق إلا على من صقلته تجاربه، وشهدت له مواقفه ورصد العقاد فى سيرته بعض المواقف التى مرت به فى حياته ومنها:

- موقف له حدث وهو دون التاسعة، عندما ترك حفل عرس أقيم فى بلدته ترك الحفل وانحرف وحده إلى الفناء المعزول، متطلعا إلى الكواكب فى السماء وهى تسرى فى ظلام الليل أذ يقول:« فريع أهلى إذ تفقدونى، ولم يجدونى فما أشعر إلا والمشاعل كلها قد تحولت إلى مكانى من الفناء»(١).
- وموقف له مع رئيس مجلس النواب، عندما ناداه مجرداً من أى ألقاب، لإلقاء كلمة على أعضاء المجلس، فما كان من العقاد إلا واتجه وصولا إلى نهاية القاعة وصولا إلى المنبر، وقال فى صوت مُدَوٍ « الأستاذ عباس محمود العقاد »، وكررها عدة مرات، ثم قال: ليس فى هذا المجلس من هو أحق بلقب أستاذ من عباس العقاد.
- ومن مواقفه الكثيرة والتى تشهد له بالجرأة والشجاعة، ما ورد على لسان الأستاذة **عواطف عبد الجليل** الكاتبة الصحفية، ويتلخص الموقف فى عتاب العقاد لمدير البرنامج الثانى بالإذاعة، لأنه ذكر عرضا أن الإذاعة لا تعرف عنوانه، فقال العقاد فى لهجة متعالية، وصوت ضخم كيف لا تعرفون عنواني ؟ العقاد – مصر (٢).
- ومن مواقفه التى عرفت عنه، ثقته بنفسه، واعتزازه بكيانه وشخصه، إذ يقول: « عرفت أننى أثق بنفسى، وأعتمد عليها، ولكننى أعتقد أننى وثقت بها عن طريق النفى، قبل وثوقى بها عن طريق الثبوت » (٣).

ويقول الكاتب الصحفى محمد فهمى عبد اللطيف:

(١) أنا / ٨٨.
(٢) أنا / ٨٧.
(٣) الجمهورية / عدد ١٦ مارس سنة ١٩٦٤.

« لقد خالطنا العقاد، واختلطنا به فى حياته فما عرفنا فيه غروراً أو صلفاً، ولكنه كان السمو بالكرامة الإنسانية، والعزة التى يجب أن تكون للفكر والعلم والعقل » (١).

- ومن مواقفه تصديه للظلم فى كل مرحلة من مراحل حياته، وخاصة ظلم الرؤساء والمديرين فى الوظائف التى كان يعمل بها، إذ يقول: « أكره الظلم حين أكره الظالم، و الشر حين أكره الخبيث، وإننى لأبغض أن يكون غيرى ضعيفاً محتقراً أمام متكبر متجبر فأحرى بى أن أبغض ذلك لنفسى فيما يخطه قلمى باختيارى»(٢).

والحياة كانت خير « معمل » لتجاربه إذ يقول:

« علمتنى الحياة أن الناس تغيظهم المزايا التى ننفرد بها، ولا تغيظهم النقائص التى تعيبنا، وأنهم يكرهون منك ما يُصغرهم، ولكن يسخطون على مزاياك لأنها تصغرهم، أو تغطى على مزاياهم » (٣).

- ومن التجارب التى مَرّ بها فى حياته... كراهيته للهزيمة فى كل مجال. « يشهد الله أننى أعاف النصر إذا رأيت أمامى ذل المنهزم، وإنكار المستسلم ولولا أن هزيمتى أبغض إلى من هزيمة خصمى لأبغضت النصر الذى يفضي لا محالة إلى انهزام واستسلام » (٤).
- ومن تجاربه المتعددة فى مجالات عديدة معرفته أنه خلق للأدب، ولم يخلق لغيره وأن تفانيه للجندية والزراعة كان التفاتا للأدب من طريق آخر.

---

(١) الأخبار / عدد ١٣ مارس سنة ١٩٦٤.

(٢) أنا / ٨٨/ وقد ورد هذا فى مقال للعقاد فى جريدة / الهلال عدد يونية ١٩٦٧.

(٣) أنا / ٩٣.

(٤) نفس السابق / ٨٩.

- ومن تجاربه... معرفته أن الاستسلام يكون هو الحل لنهاية بعض المشكلات و العراقيل، مثل استسلامه لإجراء عملية جراحيه فى عينيه وإلا أطبق عليه الظلام، إذ يقول: حين يكون فى الأمر قولان، أو عدة أقوال فهناك التردد والاضطراب، وهناك الأخيلة والأوهام والأشباح، وأما مسألة البصر، فلا اختلاف فيها وأى حيرة وأى موازنة وأى ترجيح، إنما هو القبول والاستسلام » [1].

يقول العقاد عن تجاربه التى خاضها وهو فى زمام الوظيفة الحكومية: «لو أردت أن أسجل تجاربى فى تلك الوظائف لما وسعتنى المقالات، فإنها مما تستوفيه الكتب والمقالات » ومن هذه التجارب، تجربته مع « الباشكاتب » إذ أراد « العقاد » أن يعبث بالرجل الذى عُرف فى جميع مديريات القطر بالحزم، والمهابة، والدراية بأصول الإدارة وأساليب المكاتبة، إذ دخل عليه العقاد مكتبه وهو منفرد، ومعه بعض الإفادات التى شطبها بلا سبب، غير الجمود والتعنت.
وقال له العقاد:

يا أيها الحمار الأزعر... أمثلك يصحح الكتابة العربية وأنت لا تعرف منها غير الهجاء وكتابة (العرضحالات) ؟

... ولم يصدق الرجل أذنيه، وظن أنه مجنون، لا يؤمن أن يبطش به، ويعتدى عليه فقفز من كرسيه، إلى خارج الحجرة، ينادى الفراشين، والموظفين المساعدين وذهب إلى مكتب وكيل المديرية ليشكوه، وعلم العقاد بعد ذلك أنه لم يبلغ وكيل المديرية بمقولته « يا حمار يا أزعر » واقتصرت شكواه على تطاول العقاد فقط له.

ومن خلال هذه التجارب والمواقف، استطاع العقاد أن يستخلص قاعدة هامة، تجعل منزلته شامخة بين صنوف الناس وهى: (أن يعمل، وأن تكون

(١) نفس السابق / ١٢٣.

الرغبة الصادقة فى العلم والدقة والتفانى فى أداء الواجب، طريقا موصلةً للنجاح المرتقب، الذى يحفظ فيه الإنسان تقديرا لذاته.

❁❁❁

فلسفة الحياة:

يرصد العقاد فى كتابه « أنا » نظرته للحياة وظواهرها من خلال رؤية فلسفية تأملية ذاتية.

فكاتب السيرة سرعان ما يرتد إلى مركز وجوده، وعندئذ تنبعث من أعماق سيرته مئات الذكريات المجهولة التى تتداعى فى ذاكرته، وتغير من صفحة العالم أمامه،وهذا ما فعله العقاد، إذ وجدناه يسأل نفسه بعد سنوات عديدة من تخطيه مرحلة الشباب.. ماذا لو عدت طالبا ؟ وعندما يطرح هذا السؤال على نفسه، والذى فرضه عليه ارتجاع ذاكرته. نجده يستدعى من هذه الذاكرة، مظاهر تلمذته وطباعه ونظامه فى هذه المرحلة.

فيجد العقاد فى نفسه.. تلميذا نظاميا فى مواعيده، لم يتخلف عن موعد الحضور أو موسم امتحان، أو حصة مذاكرة حين تفرض للمذاكرة حصص.

لم يتمرد العقاد على حياته المدرسية النظامية فى يوم من الأيام، اللهم إلا تمرُّده على المظهر الشكلى وقتئذٍ من إهمال فى ملابسه وهيئته، ويعلل العقاد هذا الإهمال الخارجى الشكلى بقوله:

« لم أكن أطيق أن أنتظر « البذلة » عند الكواء، ولم أكن أعطى اللبس – ولا أنا أعطيه الآن – أكثر من بضع دقائق فى عجلة وهرولة » [1].

... ويسترجع « العقاد » طريقته فى مذاكرة دروسه إذ يقول: كنت أجلس إلى المصباح فى حجرتى حتى منتصف الليل أطالع وأذاكر فى ماذا ؟

(١) أنا / ١٢٠.

كلهم فى المنزل يحسبون أننى أذاكر دروسى، وأطالع كتب المدرسة ويصفوننى من أجل ذلك بالغيرة على الواجب والأنفة، من التأخر فى الترتيب وكلهم فى الواقع لا يعلمون الحقيقة، لأنهم لا ينظرون فى الكتب والدراسات التى أدمن مطالعتها، إنها تارة ديوان شعر، وتارة أخرى قصة من قصص ألف ليلة وليلة ونحوها، وتلك مجلة شهرية وغيرها من مجلات تلك الأيام.

إن هذه اللقطات من حياة العقاد وقتئذٍ محفورة فى ذاكرته، لا تغيب عن باله، ولذا نجده دائما ما تتوق نفسه إلى الرجوع إلى تلك الحياة التلميذية مرة أخرى، لأنه يراها حياة نظامية أكثر نظاما مما هو عليه إذ يفلسفها قائلاً:

« لا يسوؤنى أن أعود طالبا،فأعود نظاميا على هذه الوتيرة إذ هى نظامية تجمع بين قضاء حق الواجب، وقضاء حق التمرد فى رأى الذين يطالبونى بالنظام » [(١)].

ويعرض العقاد أنواعاً أخرى من تمرد « العقاد التلميذ».. مثل تخلفه المتعمد عن حضور حصة الرياضة البدنية، والتى يأسف على عدم حضورها بعدما عرف أهميتها وهو كبير، ولكن أسفه لا يكون مبرراً إيجابيا عن رغبته فى العودة إلى أيام التلمذة.

إذ يقول رأيا فلسفيا مفاده:

لماذا أعود طالباً،إن كانت العودة للتكفير عن خطيئة الألعاب الرياضية، فالصلح معها على طريقتنا المختارة، يغنينا عن مشوار الرجوع كل تلك السنين» [(٢)].

ويختتم حديثه مؤكدا عدم رغبته فى الرجوع، لأنه يرى أن الحاضر خير من الماضى، وإنما يحلو الماضى حين ننظر إليه بأعيننا الحاضرة.

---

(١) أنا / ١٢١.

(٢) نفس السابق / ١٢٢.

وللعقاد محطات كثيرة فى قطار الحياة، يقف عند كل واحدة وينظر إليها نظرة المتأمل المفكر، ويجدنا واقفين متلقين من فلسفته وفكره وتأمله، نرتوى من معين علمه الفياض الذى لا ينضَب.

ونظرة العقاد للحياة، لا تكون نظرة عادية أو عابرة، إنما هى نظرة عميقة ثاقبة مستخلصة من نتاج تجربته ومواقفه التى مر بها، والعقاد كغيره من شباب جيله من الأدباء، تعرض للقلق والألم والشك، وهى سمات تجمع بينهم جميعا وكانت وسيلته للخروج من أزماته تتمثل فى اعتزازه بذاته، واستعلائه على الآخرين.

والظروف التى أحاطت بحياة العقاد هى التى شكلت فيه هذه الصفات، هذا إلى جانب ما ورثه من صفات.

ولا ننكر حقيقة هامة وهى أن العقاد يُعْدُّ من أكثر الأدباء عصامية، وإذا صح أن موهبة أى كاتب من الكتاب تستطيع وحدها أن تدفعه من القاع إلى القمة، فإن العقاد هو أصدق مثال لهذا النوع من الكتاب.

وقد غلب على عقل العقاد النزعة المنطقية الفلسفية، وبدا هذا الميل إلى المنطق فى أدبه وفكره وهذا ما جعله مغايرا لمنهج أدباء عصره إذ يقول: « فمن عجيب التوفيق أن يكون شكرى من الإسكندرية، وأن يكون المازنى من القاهرة، وأن أكون أنا من أسوان، ثم نلتقى على قدر واتفاق، فيما قرأناه،وفيما يجب أن نقرأه، مع اختلاف فى حواشى الموضوعات من غير اختلاف على جوهرها، وكل ما هنالك زيادة عند بعضنا فى إيثار القصة أو زيادة فى إيثار الشعر، أو زيادة فى الفكريات والتأملات ».[1]

(١) مراجعات فى الأدب والفنون / العقاد / ص ١٤٣/ ط. القاهرة ١٩٢٦م.

وحين يلتقى الاستعلاء والكبرياء الذاتيين بالنزعة الفكرية الواضحة، تصبح بدايات الكاتب ومنابع تفكيره مستمدة من منطقه هو » [١].

وفلسفته فى الحياة.. هو ما يستمده من الطبع الموروث

وهو ما يستمده من تجربة الحوادث

وهو ما يستمده من الدرس والإطلاع

وفلسفته فى الحياة والتى يطبقها فى تعامله مع الناس هى أَنَّهُ لا ينتظر منهم الكثير، ولا يطمع منهم فى كثير.

« والطمع فى إنصاف الناس، إذا كان فى الإنصاف خسارة لهم أو معارضة لهواهم هو الكثير الذى ما بعده كثير ».. وقد رُضْتُ نفسى معهم على هذه الحقيقة وتعودت منهم مجافاةَ الإنصاف حتى كدت أشعر بشيء من « خيبة الرجاء فهل هم أهل خير ؟ هل هم أهل شر ؟.

وعن فلسفته فى العمل معرفته بقيمة العمل وبواعثه وغاياته إذ يقول:

« وإذا عملت شيئاً له قيمته فثق أنها قيمة «محفوظة» لا ينقص منها قول منكر، ولا يزيد فيها قول معترف، وإذا لم تبلغ بك الثقة هذا المبلغ فاجعلها فَرضاً بين فرضين ليس لهما ثالث، إما أن يكون للعمل قيمة مرهونة فلا بأس عليه، وإما أن تكون قيمته مرهونة بمشيئة هذا أو ذاك، فهو أهون من أن تأسى عليه » [٢].

* ونتساءل عن رؤية العقاد للحياة هل كانت مقصورة على شيء، أما شاملة بكل فكر العقاد الشاعر والكاتب والناقد ؟

وهل هذه النظرة الثالوثية لها رؤاها الفلسفية فى حياته ونتاجه الأدبى.

---

(١) تطور الرواية العربية / ص ٣٦٢ / والأدب العربى المعاصر فى مصر / شوقى ضيف ص ١٤٠/ ط الثالثة / دار العارف بمصر.

(٢) أنا / ١٣٩.

الحياة من منظور العقاد الشاعر

مما لا شك فيه أن « العقاد » نظر إلى الحياة بمنظوره الشعرى، إذ كان عنده حدس الشاعر، ورهافة حسه، إلى جانب دقة وملاحظة الناقد، وقدرته على التحليل والتعليل، وقد آمن بالأدب ورسالة الأدب، ونذر نفسه لإبلاغ هذه الرسالة فى حياته.

يقول محمود تيمور: « إنه خير من ينطبق عليه ذلك الوصف الدقيق الذى أوجزه ابن العميد فى قوله عن الجاحظ كتب الجاحظ تعلم العقل أولاً والأدب ثانيا » [١].

وقد نادى العقاد بالتحديث فى الشعر، فالشعر حضارة وفن لابد أن يتطور بتطورهما إذ يقول: « لنا على السابقين مزَّية تدين بها للعصر، ولا نلوم السابقين على خُلُوِّ عصرهم منها ونقص موازينهم من جَرَّاءِ نقصها [٢].

والشعر عند العقاد هو ترجمان لنفس صاحبه، فالشاعر الذى لا يعبر عن نفسه صانع، وليس ذا شخصية أدبية. والشعر عنده: هو ما يقوله الشاعر الممتاز بالعاطفة والنظرة إلى الحياة»[٣]. والشعر عنده: ما كان مصحوبا بالطبيعة الحية لأنه يرينا الدنيا، ويعرفنا على نفس الإنسان وطبيعته [٤].

ومن هنا يرى العقاد الحياة من منظور الشاعر، إذا أنها تستمد من الطابع الموروث ومن تجارب الحوادث والناس، والحياة والشعر عنصران ممتزجان إذ يقول:

---

(١) مقدمة كتاب «أنا».

(٢) شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى / العقاد / ص ١٤١ / ط. الأولى، مكتبة النهضة المصرية ١٩٣٧.

(٣) النقد العربى الحديث ومذاهبه / محمد عبد المنعم خفاجى / ٨٨ وساعات بين الكتب جـ١/صـ١٢٤.

(٤) ابن الرومى / العقاد / ص٧ / ط مطبعة مصر.

الحـبُّ والشِّـعرُ دِينـي والحَيَـاةُ معَـاً دِيْـنٌ لعَمْـرِكِ لا تنفيـهُ أَدَيَـانُ
وَالشِّـعْرُ أَلْسِـنةٌ تُفْضـي الحَيَـاةُ بِهَـا إلـى الحَيَـاةِ بِمـا يطويـهُ كِتمـانُ

ويقول:

عِـشْ آمـنَ السِّـربِ كَمَـا تبتغِـي مَـا نَحْـنُ مِمَّـنْ يَحْسُـدُ الآمِنـينْ
إنَّ حَيـاةَ الأمـنِ مشـئومةٌ فـي شـرْعِنَا مِثـلَ حَيـاةِ السَّـجِينْ
أيَّتُهَـا الأخْطَـارُ عَلَّمْتِنَـا بِأَنَّنَـا الأحـرارُ لَـوْ تَعْلَمِـينْ

ويرى العقاد أن نصف الحياة قائم على الشعر [١].

وكل شيء فى الحياة صالح ليكون مادة للشاعر يستنبط منه القصائد والمقطوعات « فليس الشعر مخصوصاً بموضوعات، ولا محجوزا فى آماد وآفاق، بل هو ليتسع لكل عناصر الحياة » [٢].

ومن الشعر العقادى الفلسفى قوله فى قصيدة « الإنسان الوحش »:

ظَلَمُـوا الْـوَحْشَ وَهْـوَ واللهِ أَحْـرَى مِنْـكَ بِـالأَمْنِ أَيُّهَـا الإِنْسَـانُ [٣]

ويقول فى قصيدة الصبر

لَسْـتُ مَـعَ الصَّـبرِ مُثْنِيـاً أَبَـداً مَـا صَـحِبَ غَيـرَ ذِى شَـجَنِ [٤]

نظر العقاد للحياة نظرة الشاعر إذ رأى أن « الشعر يعمل الحياة، فيجعل الساعة من العمر ساعات، «عش ساعة مفتوح النفس لمؤثرات الكون، التى

(١) خلاصة اليومية / العقاد / ١٠٥ / ١٩١٢م.
(٢) دراسات فى الشعر العربى المعاصر / شوقى ضيف / ٩٦ / ط. العاشرة – دار المعارف.
(٣) القصيدة من بحر « الخفيف ».
(٤) القصيدة من بحر « المنسرح ».

يعوض عنها سواك، ممتزجة طويّتك بطويَته الكبيرة، تكن قد عشت ما فى وَسْعِ الإنسان أن يعيش وملأت حقيبتك من أجود صنف من الوقت [١].

❁❁❁

(١) رواد الشعر الحديث فى مصر / مختار الوكيل / ص٥٥ / ط دار المعارف / وقضايا الشعر المعاصر سعد دعبيس / ص ١٦٦/ط. دار الكتاب الحديث / ونظرات فى فكر العقاد / عثمان أمين / ٢٦.

مراحل العمر :

يرصد العقاد فى سيرته الذاتية من خلال كتابه (أنا) المراحل العمرية التى مر بها، فقد عاش العقاد ما يقرب من خمس وسبعين عاماً، قضاها جميعها فى التحصيل المعرفى والثقافى، ووقف فيها عند محطات تقلبية وانتقالية مؤثرة فى حياته، وخاض خلالها عدة معارك سياسية وأدبية فحياته أشبه ببركان ثائر متدفق فى جميع حالاته، ولا يركن إلى الهدوء، بل يظل يبحث وينقع ويستخلص ويستنتج ويفلسف وينظر بمنظار المفكر والأديب والعالم والفيلسوف والناقد إلى كل الأمور الحياتية، ليصل إلى النتيجة المرجوة وأولى هذه المراحل:

مرحلة الأربعين:

سن الأربعين هو السن الذى نطلق عليه « سِنُّ النضج لأن فيه يتم الاكتمال الفكرى والثقافى والمعرفى للإنسان كما يشعر فيه الإنسان بالاستقرار الحياتى الذى يؤهله إلى معرفة معادن من حوله، وطبائعهم وألوانهم، فيأمن عذرهم وخيانتهم وحصيلة سن الأربعين عند العقاد فى قوله:

كنت فى العشرين وأصبحت فى الأربعين، فكنت أرى كل متعة حقيرة زهيدة شوقاً إلى ما بعدها، وارتيابا فى قيمتها، وأن تكون هى كل ما تزلفه الحياة لأبنائها، ثم أخذت نفسى بأن أتناول ما على المائدة تناول رجل لا يفوت الحاضر، ولا يحب أن يفوته المستقبل، والعجيب أننى كنت مُتنطِّسا عازفا عن الدنيا حين كانت عندى كلها مادة وحيوانية، وأننى أقللت من التَنَطُّسِ والفروق حين رأيت فى الدنيا شيئاً غير المادة والحيوانية، وإنما يبدو هذا عيبا فى الظاهر الذى نراه لأول نظرة دون الباطن، الذى نراه بعد إنعام النظر [1].

(١) أنا/ ١٥٥.

ويتحدث العقاد عن مرحلة العشرينات، والتى عاشها شيخا لا شابا منصرفا عن متاعها إذ يقول: العزوف الأول كان عزوف عاشق ساخط، يطلب من الحياة الكثير، فإن لم يأخذه أَنِفَ من القليل.

وقد كانت هذه طبيعة العقاد لا يتحايل على الأشياء، ولا يسعى إليها.

أما مرحلة الأربعين أو ما فوقها عند العقاد مثلت مرحلة أدبية هامة أطلعنا عليها من خلال كتاباته ومقالاته و أشعاره، فله ديوان شعرى سماه «وحى الأربعين » [1]. تحدث فى ديوانه عن الشعر العصرى المفارق للتقليد والزخرف، ووضح أن غرض النص الشعرى رغم تقليده، يتوقف على طريقة كتابته، وكيفية إحساس الشاعر بما يكتبه.

ونرى العقاد فى هذا الديوان، قد وقف فى مفترق الطرق، إذ خرج الديوان والعقاد فى سن تصل بالشاعر إلى سن الثبات النسبي، ففيه تستقر الرؤية ويتحدد أسلوب التناول.

مرحلة الخمسين

يتحدث العقاد عن سن الخمسين قائلاً: « إن الثلاثين سن التحصيل وإن الأربعين سن الجمع والثروة، والخمسين سن التصفية وعمل الحساب، ليعرف الإنسان نصيبه من الربح، ونصيبه من الخسارة، وهى من ثَمَ سن اغتناء وليست سن افتقار، وإن جاز لى أن أقيس على نفسى فهى لا تقل غنى عن الأربعين، وقد تفوقها غنى من وجوه. يرى العقاد أن سن الخمسين هو نهاية الكسب، أو التحصيل من الحياة، ليس بعدها ما يأخذه الإنسان من الدنيا ويضيفه إلى تكوين عقله وجسمه، ولكن يزال بعدها يعطى الكثير ويفقد الكثير إيذانا بفقد كل شيء يأخذه التراب من التراب.

(١) وحى الأربعين هو الديوان الخامس للعقاد وأصدره ١٩٣٣.

ويطلعنا العقاد على فضيلة هذا السن، إذ يرى أن فضيلته تكون فى تحصيل المال المحسوب والنفقة المقدورة، لأن فى هذا السن لا ينتظر فيه الإنسان وارداً جديداً وإذ جاء فهو قليل، أو قلما يتسع الوقت لتصريفه وإعادة تثميره، وقلما يكون له موضع إلا أن يضاف إلى ما قبله « كل باب إلى بابه » «وكل نظير إلى نظيره إذن » « وحى الخمسين » هو وحى الغنى المحسوب، وليس هو بوحى الغنى بغير حساب هذه نظرة العقاد للإنسان العادى الذى وصل إلى هذه المرحلة العمرية أما نظرة العقاد للفلاسفة والشعراء الذين وصلوا إلى (الخمسين) فهى نظرة مختلفة عن النظرة السابقة « لأنه يرى أن ثمرات الخمسين بين الشعراء و الفلاسفة، وأرباب الفنون تضارع خير الثمرات فى سائر الأعمار».

وقد يبدو هذا الأمر طبيعيا عند الفلاسفة، أما عند الشعراء فقد يكون مختلفا اختلافا هينا.. لأن الشعر والفنون والجمال مقرون فى الأذهان بالشباب وصحوة العمر.

وقد يكون مقروناً إلى حد كبير بالغرارة وقلة النصيب من التجربة والروية فالشاب، قد يشعر بالجمال وقد يقدره أولا يقدره فى مرحلة شبابه.

أما الشيخ الخمسينى فإن تقديره للجمال حق تقدير، ولا يفتر تقديره أو يقل بل أحيانا يزيد.

ويختتم حديثه عن حظ الإنسان من متعة الحياة فى هذا السن إذ يقول: «الحقيقة التى ليس فيها قولان، أن المعدة التى تهضم أعسر المأكولات، ليست هى المعدة التى تتذوق أحسن المأكولات، لأن الخبز والملح لذيذان عند من يهضم ويستخلص من الطعام القليل أكثر ما فيه من غذاء، ولكن الاختيار الأنيق إنما يكون لمن لا مناص له من الاختيار، فلا يستهويه إلا ما كَمُل أو قارب الكمال » [1].

(١) أنا / ١٥٩.

مرحلة الستين:

يرصد العقاد تبعات هذه المرحلة العمرية – الستين والفوارق بينها وبين الخمسين، ويرى أن التباين و الاختلاف يسير وأن هذه المرحلة لا تعد نقطة تحول للإنسان، بل هى استكمال لما بدأه من عمل وجهد سابق، مضيفا إليه خبراته ومرانه فى الحياة إذ يقول:

« إن الستين لم تكن فى حياتى نقطة تحول بين عهدين، أو بين عمرين... ولكننى إذا نظرت إلى الفترة التى تمت بها الستون والفترة التى تمت بها الخمسون مثلا، فهناك بعض الاختلاف بين الفترتين ».

ويذكر العقاد نقاط الاختلاف مُفصَّلة فى قوله:

- فى الستين... زادت قدرتى على البحث والدراسة ونقصت قدرتى على مواصلة الكتابة والقراءة.
- فى الستين زادت حماستى لما اعتقد من الآراء، ونقصت حدتى فى المخاصمة عليها لقلة المبالاة بإقناع من لا يذعن بالرأى والدليل.
- فى الستين ارتفع مقياس الجمال عندى [١].
- نرى العقاد يقيس هذا السن بمقياس دقيق وحساس من الزيادة والنقصان ولكن بتجربته فى الحياة وخبراته وامتداد عمره إلى هذه المرحلة وما بعدها، يصل إلى نتيجة هامة وهى: أن المشتغلين بالأعمال الفكرية، لا تهيضُ السنّ من قدرتهم،كما تهيض من قدرة العاملين بالعضلات، وما أشبه العضلات.
- فالسن مكسب للعاملين بالقلم، أو هى مكسب أقرب منها إلى الخسارة.

مرحلة السبعين:

(١) نفس السابق / ١٦٤.

تُعدُّ مرحلة « السبعين » هى المرحلة الأخيرة فى حياة « العقاد لأنه لم يتجاوزها، بل عاش بعضاً منها، وآثر أن يرصد جماليات وايجابيات هذا السن، الذى يعتقده الكثيرون، سن التقاعد، والتكاسل والشيخوخة إذ نجد العقاد ينظر إليه من منظور فلسفى عقلانى، حسابى، فما كان يتمناه وهو فى العشرين والثلاثين، لا يتمناه وهو فى السبعين، لأن هذا السن لا يتحمل هذه الأمانى. إذ يقول: « أما فى السبعين، فالتمنى كلمة كبيرة عليها » ومع هذا نجده ينظر إلى هذه المرحلة نظرة الرضا المشبعة بالإيمان. **إذ يقول**:

- نحمد من السبعين أنها تعطينا الرغبة على قدر الطاقة، ومع الرغبة لجامها الصغير.
- نحمد من السبعين أنها تعودنا الاستغناء عما يلزم وما لا يلزم.
- نحمد من السبعين أنها تعوضنا بالخبرة عن القوة وتعوضنا بالخبرة عن الوقت الثمين وهو مادة الحياة.

ويرى العقاد أن المعرفة لا تقف عند مرحلة عمرية، ولكن مقياسها قد يتغير فمن يصل إلى السبعين، ويطلع على عشرين سطراً فى كتاب،كما اطلع على مضمونه ومحتواه، يعكس ما سبقه من مراحل.

والعقاد نعم بهذه المرحلة، وعاشها فى رضا تام ولم يرض بديلاً عنها إذ يقول:

كلا.. لا أبادل، ولا أقبل المساومة، وإذا تمنيت شيئا بعد السبعين، لأتمنين أن أعيش، فلا أعيش عبثا، ولا فضولا، وأن أعيش كما عشت بحمد الله على الدوام [1].

المبحث الثانى
جماليات السرد الأدبى

(١) أنا / ١٦٨.

فى كتاب « أنا »

العنوان:

لا يمكن أن نلج عتبات هذا الجمال دون أن نتوقف أمام مؤشره الإعلامى الخارجى (أنا). هو مؤشر موجز الصياغة متسع الدلالة، أراد فيه « واضِعُهُ » أن يطلعنا على « العقاد الإنسان » فجعل من حياته وسيرته الذاتية خروجاً من التمركز حول الذات.

والنظر فى البناء الصياغى للعنوان (أنا) يجد أنه أضاف بعداً بلاغيا عميق الأثر. ففيه إشارة واضحة وموجزة إلى التكامل بين الخارج والداخل.

إذن العلاقة هنا علاقة حميمة بين العنوان والمتن، لأن فى المتن حديث العقاد عن نفسه، حياته، وسيرته، فكان العقاد هو الراوى والبطل و (الأنا) المتكلمة أو الفاعلة هى التى تستولى على زمام (الحكي) و تستأثر بإنتاج الحدث، وتتحكم فى بناء الشخوص وفق معايشتها لها ووفق وجهة نظرها فيه.

* نلحظ التواجد المستمر لظاهرة (التحنين) وهى استدعاء الزمن الماضى ببعض محتوياته، ومخزوناته التى تحولت إلى شيء شبيه (بالمعلبات) التى تعمل على سلامة محتوياتها بالمواد الحافظة التى تساعدها على البقاء، لحين الاستعمال فى الزمن والمكان المناسبين [1].

ومما لا شك فيه إن (السرد) فى (أنا) قد اعتمد على حضور العقاد حضورا طاغيا وأن توحُّدَه قد أتاح له أن يتدخل، بوصفه شخصية من الشخوص الفاعلة، بل يصبح الشخصية المحورية التى تتفجر منها الأقوال والأفعال. أى أنها استحوذت على مجموع الجوانب الإيجابية، إلى جانب أنها كانت تحتل منطقة ردود الأفعال.

---

(١) بلاغة السرد / د. محمد عبد المطلب / ص ٥٣ / ط الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠١م.

إن الإيغال فى (الذاتية) تقود الكاتب إلى (الأحداث) بكل واقعها ومظاهرها وتطوراتها.

الأحداث:

الأحداث هى ركن من أركان السيرة وتؤثر فى بقية الأركان الأخرى والحدث هو اقتران الفعل بالزمن، والأحداث كثيرة ومتزاحمة فى كتاب (أنا) فقد كان العقاد حريصاً على سرد الأحداث حتى تسلط الضوء على ملامح شخصيته، أو بعض الأشخاص الأخرى.

إن انفتاح الذاكرة على الأحداث جعلت « العقاد » يختار المواقع التى تؤهله للرؤية الشمولية العميقة التى تجعله يبتعد عن الحدث ثم يعود إليه تبعاً للتداعى، هذا إلى جانب « توقيف الحدث دون مغادرته،أو تقنية الوصف مثل سرده لحدث وباء « الهيضة » الكوليرا، وكان وقتئذ بأسوان. وهذا الحدث لم يكن خاصا ينفرد به العقاد ولكنه حدث عام شمل أسوان كلها وكل بلد عربى إذ يقول « خلا المكان من سكانه بين مصاب وميت ومهاجر ومعتكف، يحاذر زبانية الحجر الصحى محاذرة السائر في آجام السباع » [١].

فالسرد هنا قد ابتدأ من لحظة الحاضر ليرتد منها إلى الزمن الماضى:

أما توقيف الحدث فى سرده لظروفه المادية القاصرة التى جعلته غير قادر على شراء ما شغف به من كتب أدبية « عندما كنت صغيراً، أتعطش إلى قراءة الأدب، فلم تكن ظروف ثراء مهما نقتصد فى حدود الثراء » [٢].

وتتوالى الأحداث وتتصاعد بصورة تلقائية، حيث يتوجه السرد إلى توسيع منطقة « الحكى » إذ ينتقل العقاد بحديثه عن تعليمه بالمدرسة » ثم التحاقه بالوظيفة الحكومية، والتى تداول فيها العديد من الوظائف فى مختلف الإدارات، ثم يتوقف عند حدث هام فى حياته إذ لم يحظ بقدر أهميته أكثر من استغرابه

(١) أنا / ٣٨.

(٢) نفس السابق / ٤٠.

ودهشته وهو حدث « استقالته من الوظيفة الحكومية، وقد كتب مقالاً فى « الجريدة » حوالى سنة ١٩٠٧ يحمل عنوان « الاستخدام رق القرن العشرين ». وهذا الحدث، يُعْدُّ مرحلة انتقالية هامة فى حياة العقاد، غيرت مجرى حياته، واستطاع بأسلوب سردي تقريري وصفي أن يذكر أسباب تخليه عن الوظائف الحكومية التى كان يشغلها.

استطاع العقاد أن يجعل تكوينه الثقافى حدثا منهجياً معروفاً لكل من أراد السير على دربه، وعرض هذا التكوين بأسلوب رائع مرتب ومسلسل إذ تَحدَّث عن الأسباب التى جعلت منه كاتبا، واتبعها بحديثه عن هوايته للقراءة وتنميته لهذه الهواية، ثم تحدث عن طريقته فى الكتابة والتى استدعت الشرح التفصيلى « أما طريقتى فى الكتابة فإنى أبدأ المقال، وفى ذهنى» جميع أصوله و«نقطه» مرتبة على الجملة حسب التسلسل المنطقى، ولكننى إذا مضيت فى الكتابة، عرضت لى حاشية من هنا، أو لمحة من هناك... (١).

أما طريقته فى كتابته للكتب، والمنهج الذى اتبعه... قد كان السرد هنا تفصيليا، حتى رؤية النقاد والكتاب فى طريقته، ذكرها مفصلة، « كان صديقنا المازنى يقول إن أسلوبه الاستطرادى لا يمكنه من بناء الدور الثالث فى المنزل قبل الدور الثانى. على حسب تعبيره» (٢).

* ومن الأحداث المهمة التى وردت فى سيرة العقاد ورصدها فى كتابة (أنا) ما سطره بعنوان « أحرج ساعة فى حياتى » ذلك الحدث الذى هدده فيه رئيس جمعية المدرسة ومعه مفتش الداخلية بنفيه إلى « مالطة » لمناوشات حدثت بينه وبين العقاد، وضع فيها العقاد « تحت المراقبة » نهارا وليلا، وأراد الهروب من أسوان إلى القاهرة، ففكر فى حيلة للهرب وتم له ما أراد.ويبدو أن رغبة الهروب كانت وراء توجهات السرد – التى أدت إلى إعمال الخيال، مع

(١) أنا / ٧٦.
(٢) نفس السابق / ١٦٠.

رصد تعقيدات هذه الحادثة، والعوائق التى أحاطتها، ليصل فى النهاية إلى القاهرة وتمثلت هذه العوائق بهرب العقاد بالقطار وقد وجد على نفس المركبة معاون بوليس أسوان، وكان مسافرا. « وكانت تلك الساعة ما بين محطة أسوان ومحطة «كوم امبو» هى أحرج ساعة فى حياته. وقد اعتمدت هذه الأحداث على عنصري الحركة والإثارة مما زادها جمالا وإبداعاً.

* ومن الأحداث المهمة التى رصدها العقاد فى سيرته حادثه دخوله السجن « لعيبه فى الذات الملكية » وقد حكم عليه بالسجن تسعة أشهر. وقد صوَّر العقاد فترة سجنه بمغامرة للتأمل والمعرفة لهذا العالم المظلم الكئيب وكان العقاد راصدا مبدعا لهذا الحدث، وصّافا ماهرا لليلة الأولى التى قضاها فى السجن وما أعقبها من ليال.

وقد ذكر العقاد فى سيرته بعض الحوادث العارضة الخاصة، كحادثة ضعف بصره، والتى أعقبها بإجراء جراحة عاجلة فى عينيه، جعلته رهين الظلام، بضعة أيام وهى حادثة خاصة، تبعها بأجمل أيام عاشها وفيها يستدعى ذاكرته الحاضرة لتذكر ماضى هذه الأيام، التى تتخللها حوادث كثيرة.

منها حادثة حبه لسارة، وما ثبت فى يقينه من ضرورة « موت هذا الحب»... ويتحرك « العقاد » فى سرده للأحداث حركات أمامية وخلفية وأيضاً يتحرك من « النصف » حيث يذكر مفارقات سنين عمره من الأربعين إلى الخمسين » إلى الستين،إلى السبعين!!.

ولم نلحظ الفجوات الزمانية التى تجعل من أحداث هذه المراحل فجوات ممزقة بل وجدنا تسلسلا منطقيا، وتدرجا انسيابيا ومعرفيا بكل مرحلة « لا تزال لكل منها فضيلة تعوضها فضيلة مثلها فى سن أخرى » [1].

ونلمح ارتباط الحدث بالظروف الطبيعية، مثل أحداث فصل الصيف وما يعتريه من أجواء حادة تزعج كثيرا من الناس، ولكنها لم تزعج العقاد، وكل ما

(١) أنا / ١٦٠.

سرده العقاد من المتغيرات الطبعية لهذا الفصل الذى أعقبه بنقائض ملموسة خاصة لمن يعمل حيث تقل فيه القدرة إذ يقول « من نقائض الصيف أن يمتد فيه وقت العمل، وتقصر فيه القدرة عليه عند معظم العاملين، فيبلغ النهار أربع عشرة ساعة، وتهبط الطاقة إلى بضع ساعات، فلا هو بالموسم العامل، ولا بالموسم المريح » [١].

هذه هى أهم الأحداث الخاصة التى وردت فى سيرة العقاد، وقد مزج أحيانا بينها وبين بعض الأحداث التاريخية التى التقطها من الذاكرة.

واستطاع « العقاد » أن يوازى بين الحدث الخاص، والحدث العام، ثم كان التركيز على سرد الأحداث الخاصة، ورصد حركتها، والتصاعد بها وصولاً إلى القارئ.

(١) نفس السابق / ١٥١.

الشخصيات:

اهتم العقاد فى سيرته بالحديث عن بعض أفراد أسرته، وعن بعض أساتذته وأصدقائه، وجعل بعض الشخصيات ممتدة، وأعطاها من الأهمية ما يخفف من مركزية حضوره، ولكن سرعان ما تعود المركزية المحورية حول ذاتية العقاد، حيث تظهر « الأنا» الكاتبة مثقلة فالعقاد عنده « الأنا» قوية، بارزة، متمركزة. ونستطيع أن نوزع الشخصيات فى « أنا » على قسمين:

شخصيات ذكورية.

شخصيات نسوية.

ويمكن أن نميز بين عدة نماذج للشخصيات الذكورية، إذ نجد فى السيرة شخصية الأب، وشخصية الزعيم وشخصية الأستاذ.

*** شخصية الأب:**

استطاع « العقاد » فى سيرته أن يجعل شخصية أبيه شخصية مركزية محورية، وأن تكون ممتدة، لا تختفى عند مرحلة من مراحل سيرته.

وتمركزها فى هيئتها التى أجاد رسمها العقاد حتى كأننا نقف جميعاً أمام صورة هذا الأب الذى عُرِفَ، بالجدة والصرامة الممتزجين بالحنان والعاطفة.

اهتم العقاد فى وصف شخصية أبيه أن يوضح جانبيْ هذه الشخصية المأثورة بأفعالها. وقد أبدع فى رسم ملامح هذه الشخصية التى تمثلها فى ذاكرته كما كانت فى الحقيقة: « إنى أتمثل « أبي » الآن فى الصورة التى رأيتها ألفيْ مرة، بل أكثر من ألفي مرة!! ؛ لأننى كنت أراها كل يوم منذ فتحت عينى على الدنيا إلى أن فارقت بلدتى بعد اشتغالي بالوظائف الحكومية » [١].

أجاد العقاد فى تجسيد المعانى الخفية فى شخصية (الأب) عن طريق تفاعل الأحداث وتطوراتها، مثل احتقاره للمال الذى يكسب عن طريق الإساءة فقد جسد هذا الشعور المعنوى من خلال، « زجره لأخيه حين علم أنه ينوي التبليغ

(١) أنا / ٢٥.

عن بعض المتهمين فى قضية جعلت للمبلغ فيها مكافأة كبيرة وقد بلغ هذا الزجر مبلغه إذ دعا أخي أمامنا جميعا، وأقسم له أغلظ الأيمان لإن أقدم على التبليغ ليبرأن منه مدى الحياة، ولا يأذن له أن يمشى فى جنازته بعد مماته» (١).

فى هذا الموقف بيان واضح وصريح للإعلان عن شخصية الأب المُعلم الذى علم أولاده العفة والكرامة والرجولة والاعتزاز بالنفس دون مفاخرة أو اعتلاء. ومن المواقف التى لمسها العقاد وأثرت فى شخصيته وهو بعد دون الثامنة من العمر زجر أبيه له عندما وجده جالسا مع أمه وخالاته وقريباته ودعاه إلى مجالس الرجال، يومها عرف العقاد الفائدة المرجوة من هذه المجالس « وقد أفادتنى هذه الجلسات كل الفائدة، تأتى من التوقر قبل سن الوقار، وقلما يخلو من بعض الأضرار » (٢).

برع العقاد فى رسم الجوانب الخفية من شخصية الأب والتى تعددت مناحيها على صفحات « السيرة » ومنها العطف والحنو على الأقرباء من ذوى الحاجة « إذ كان يحاسب نفسه على كل حصة من المال، تجتمع فى حوزته، وتفرض عليها الزكاة، فيوزعها خفية، ويرسلنى بها إلى بيوت بعض الفقراء الذين لا يتعرضون للسؤال، ولا يرد مسكينا يطلب الطعام من المساكين الذين يترددون على الأبواب (٣).

ومن الجوانب الخفية فى شخصية الأب « حبه للمعرفة والقراءة للكتب الدينية، إلى جانب قراءته لمجلة الأستاذ التى وجدها العقاد فى دواليب «المندرة» إذ يقول عندما بلغت سن القراءة وجدت أعدادا كثيرة من مجلة الأستاذ، فاتصلت بالحركة الوطنية قبل أن تنشأ فى القطر صحيفة من صحفها الحديثة.

---

(١) نفس السابق / ٢٨.
(٢) أنا / ٢٩.
(٣) نفس السابق / ٢٩.

شخصية الأستاذ:

يتحدث « العقاد » عن أساتذته بقدر كبير من التأدب والاحترام. وقد أفرد مساحة واسعة فى سيرته لأستاذيه فى المرحلة الأولى من تعليمه تبعها بالحديث عن شخصية الأستاذ « الجداوى » هذه الشخصية التى بهرت العقاد وهو بَعْد حديث السن، إلى درجة التأثر به والسير على دربه.وبرع العقاد فى رسم هذه الشخصية من الخارج والداخل رسماً حياً نشعر من خلاله بأن «الجداوى » أمامنا يمارس قفشاته ودعاباته مع الجالسين إذ تتردى الحركة السردية عند وصفه مستحضرا من ذاكرته مسيرته الحياتية «كان الحواة » يكثرون يومئذ فى أسوان لازدحامها بالطارئين عليها، فيقف الأستاذ ويشمر عن أكمامه العريضة، ويفحم « الحاوى » المسكين في صميم فنه أو يضربه بعصاه » (١).

ومن الشخصيات الذكورية التى شغلت من السيرة مساحة كبيرة « **الشيخ محمد عبده** » ولا شك أن هناك دوافع نفسية عميقة دفعت العقاد إلى التأثر به، منها إطراقه له، وإعجابه بأسلوب الأدبى عند زيارة الشيخ لمدرسة العقاد، وتنبؤه له بمكانه أدبيه عالية. لقد آثر السرد لاستحضار هذه الخلفية الممتدة، والتى ظل أثرها فى ذاكرة العقاد حتى كتابته للسيرة.

ولقد جرد العقاد « شخصيته الشيخ محمد عبده » من الوصف الحسى، واكتفى بالوصف المعنوى « من حظى أنى سمعت به فى تلك الأيام، فراقنى به فى غيرته على الحق، ونجدته للضعيف، وقلة اكتراثه للقيل والقال »(٢).

سعد زغلول

أما الزعيم سعد زغلول فقد بدت شخصيته فى السيرة شخصية محورية هادفة وبرزت إيجابياتها واضحة فى حياة العقاد، حتى إننا يمكن أن نطلق عليه « سعديا» لقد صعد العقاد بهذه الشخصية من إطارها الواقعي المباشر إلى إطار

(١) أنا / ٥٠.
(٢) نفس السابق / ٥٤.

الرمز أو القناع «للوطنية » المتمثلة فى شخصيته « سعد »، والتى استمد منها العقاد فى حياته الجرأة والجَسَارة والشموخ.

❁❁❁

هذه هى الشخصيات الذكورية المحورية فى السيرة، والتى وظفها العقاد فى أدوارها الرئيسة المستمدة من واقع الذاكرة.

وقد لمحنا فى السيرة أطيافا وظلالا لبعض الشخصيات التى سرعان ما تظهر وتختفى، فلم تمثل للعقاد أثرا فى حياته.

ومن الشخصيات المصاحبة للعقاد فى سيرته، والتى لم يفصح عن اسمها صديق له لازمه فى مراحله الحياتية الأخيرة خاصة فى الخمسينات والستينات وكأنه عقد معه مصاحبة ثنائية ومن خلال هذه المعية الثنائية وجدناه يرتحل معه إلى مكتبته، ويطلعه على ما فيها من كنوز الكتب وتصنيفها وأنواعها وتخلل هذا الارتحال جدلاً نقاشياً حول محتوى هذه الكتب، وما فيها من آراء ونظريات.

« والتفت صاحبى إلى القماقم يتصفح عناوينها، ونظر هنا ونظر هناك على غير اطِّراد، كأنه يترجح، ولا يملك الانبعاث فى طريقه دون أن يرجع إلى حيث كان ثم هتف بى سائلا : ما هذه المفارقات، بل ما هذه المقارنات ؟ شعر وتاريخ وفن ودين وسير وطبائع حشرات تصاحبها طبائع عظماء وخليط من المطالب لا تعرف لها وحدة، ولا يطرد لها نظام، فهل هى مكتبة قارئ واحد أم هى مكتبات شتى أعددتها لمن يشاء ؟

قلت : هى مكتبة واحدة أعددتها لقارئ واحد [1].

نلحظ التجريد الكامل لشخصية هذا « الصاحب »، فلم يذكر اسمه، ولم يدلل على صفاته أو ينوه عنها، وهذا ما جعلنا نتساءل، أكان هذا الصاحب فعليا وجوديا أم وهما وخيالاً أم أن المجادلات والمحاورات هى بين العقاد والعقاد

(١) أنا /١٨١.

نفسه؟؟ أياً كان الترجيح لأحدهما على الآخر، فإننا . قراء السيرة . نكون نحن الفائزين ! ؛ لأن من خلال هذه الشخصية الحقيقية أو الوهمية، عشنا فترات وجيزة فى بيت العقاد، وتنفسنا عبق مكتبته، واطلعنا على الصور المعلقة على جدران البيت والتى اختارها العقاد بنفسه،وكل صورة لها مغزى وجداني في نفسه وقد جمعهم العقاد فى صحبة واحدة كمن جمعها جواهر ثمينة فى عقد واحد.

كانت الصور لجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وسعد زغلول، وكارليل و بتهوفن وصورتان من صنع الفنان النابغ صلاح طاهر، إحداهما صورته . العقاد . بعد الأربعين، والأخرى بعد الخمسين.

قال صاحبى وهو يومئ إلى الصور، واحدة بعد واحدة : هذا موسيقى ألمانى وهذا حكيم إنجليزي، وهذا مصلح أفغانى، وهذا وزير، وهذا مُفْتٍ.. فما الذى جمعهم فى صعيد واحد وهم بهذا التفرق فى المواطن والشواغل والأهداف ؟ قلت : الجد والكفاح ونبل السليقة وقلة الاستخفاف ؟

شخصيات من وحى الذاكرة

ومن الشخصيات التى ذكرها العقاد عرضا فى سيرته. شخصية أبى العلاء المعرى « رهين المحبسين » وهو من الرحَّالة الذين لم يبرحوا مكانهم، فقد لزم داره طيلة حياته، ومع ذلك وجدناه يطوف بنا إلى العالم العلوي في واحد من كتبه وهو رسالة الغفران.

والعقاد لم يعاصر هذه الشخصية ولكنه استلهمها من وحى ذاكرته فتمثلها أمامه، وتمثل ما تحمله من صفات وجدنا بعضا منها عند العقاد، منها الاعتكاف الدائم، والتأمل والتدبر فى أحوال الكون وظواهره.

وأيضا الفارابى وابن سينا وهما شخصيتان ورد ذكرهما عرضا فى السيرة، فكانا حاضرين غائبين ؛ حاضران بعلمهما، ونظرياتهما وآرائهما، وغائبان بجسديهما وعلى الرغم من ورود هذه الشخصيات عرضا، إلا أنها مثلت للعقاد فى حياته آفاقا إيجابية، لمسناها فى سيرته من طريقه حياته وتفكيره.

ومن الشخصيات التى صاحبت العقاد فى فكره وخياله، وكان لها وقعها وأثرها فى نفسه، إذ كانت تمثل جزءا كبيرا من مسيرة حياته وقد ذكرها فى سيرته عرضا رغم إيجابياتها وأهميتها، ولكن لم تكن السيرة المجال المناسب لذكرها إذ خصص لها مؤلفات قائمة بذاتها تحمل اسم كل شخصية.

منها شخصيته سيدنا محمد ﷺ فى « عبقرية محمد » وعبقرية الصديق، وعبقرية عمر وعبقرية خالد، وعبقرية الإمام على كرم الله وجهه، وقد جمعها فى سلسلة عنوانها « العبقريات ». وقد ارتحل العقاد مع هذه الشخصيات. «ومن هنا ألفت بعض شخوص التاريخ، كأننى أعاشرهم كل يوم » [١].

وفى صحبتنا للعقاد عبر سيرته نستطيع أن نتبين الوضوح فى كتابه «العبقريات »، وفى رسم صورة الشخصيات التى أضحت مُستبِينة المعالم واضحة السمات إذ كان وفيا كل الوفاء مع ما ألزم به نفسه من الدفاع عن «العبقريات » وإزالة ركام الجهل وسوء الفهم عنها.

لقد اتبع العقاد فى كتابته « للعبقريات » منهجا مغايراً، لكل من تناول هذه الشخصيات وهذه المغايرة أعطت للعبقريات سمة متفردة عرف العقاد بها حتى أطلقوا عليها « عبقريات العقاد »، فلم تكن الكتابة فيها نزوة طارئة لا ترتكز على إيمان بالدور الذى قامت به على مسرح التاريخ الإسلامى، بل كانت هناك الدوافع التى جعلت كاتب العبقريات يُكرِّس الجهد الكبير، والخبرة الطويلة لما تصدى له من عمل، عن إيمان قوى، وعقيدة دافعة، وجهة محددة فى الكتابة عن تلك الشخصيات ولم يكن ليحيد عنها.

الشخصيات النسوية

شخصية الأم :

(١) أنا / ١٤٤

كانت شخصية « الأم » من الشخصيات المحورية الرئيسة فى السيرة، وذلك يرجع إلى كونها السيدة الأولى فى حياة العقاد، إلى جانب تأثره بها وحبه الجم لها، ومعرفته بمعاني الحنان والعطف والرأفة منها وعن طريقها، وعندما يتحدث « العقاد » عن « أمه » نلمح فى عينيه مشاعر الفرح والحزن معا، فرحه بإحياء ذكرياته مع هذه الأم الرؤوم، وحزنه لفقده لها، وبعده عنها.

وقد وفق العقاد فى رسم شخصية الأم من حيث الشكل والمضمون، فقد وصف بنيتها القوية التى ورثتها عن أبيها، كما تناول فى حديثه عن صفاتها الأخرى ومنها قلة الكلام، والاعتكاف، ونظامها فى ترتيبها لأمور البيت، وشدتها فى أوقات تتطلب فيها الشدة، وإيمانها القوى بالله، وخوفها وحرصها على أولادها.

« ورثت أمي تقواها وسلامة بنيتها من أبيها وجدها، ففتحت عيني أراها وهى تصلى وتؤدى الصلاة فى مواقيتها، ومما ورثته عن أبويها الصمت والاعتكاف، ولم أر فى حياتى امرأة أصبر على الصمت والاعتكاف من والدتي» (١).

وشخصية الأم فى حياة العقاد من الشخصيات الممتدة لامتداد أثرها فى شخصيته، فكانت هى المثل والنموذج للمرأة فى حياته، والتى لا يرضى لها بديلاً.

ويتجلى ذلك فى تجسيده خوف أمه عليه حتى بعدما ذاع صيته بين أدباء عصره ويظهر هذا الوجل فى قولها له : « هذا الورق الذى لا ينتهى هو الذى يمرضك وهذا الورق الذى لا ينتهى هو الذى يصرفك عن الزواج، وهذا الورق الذى لا ينتهى هو سبب شهرتك التى « تشيل غارتك » .

احتلت شخصية الأم فى قلب العقاد مكان الصدارة بلا منازع، حتى الشخصيات النسوية الأخرى كانت أدوارهن ثانوية لم تكن مؤثرة تأثير الأم على

(١) أنا /٣٢.

نفسه وفى قلبه، فلم يشأ العقاد أن يجعل نفسه أسيرة لهوى امرأة، حتى ولو كان على حساب عاطفته. فهذا هو العقاد.

مي وسارة

امرأتان فى حياة العقاد أحبهما ولكن حبهما لم يستمر أو يدوم،أو يتوج بارتباط ما، هما إذاً لغزان فى حياة العقاد، وربما تكون هناك عدة ألغاز لم نعرف منهما غير هذين اللغزين «مى وسارة » وصفهما العقاد فى سيرته ولكن لم يحط إحاطة كاملة بهذا الوصف فى كتابه «أنا » وقد وصفهما فى بعض مؤلفات له وصفا شاملا ورمز العقاد لهذا الحب فى سيرته بحديثه عن « فلسفة الحب ».

« فالحب شيء من الأنانية، الحب شيء من الغرور، الحب شيء من العداوة » (١)

فقد كان حبهما له أنانيةً، غروراً، شكّاً ولَّد العداوة !!.

كانت شخصيتا ميّ وسارة فى السيرة ثانويتين على الرغم من أنهما شكلتا حدثاً ذا تأثير بيّن فى حياة العقاد. أعقبه انصراف العقاد عن النساء، فقد عاش العقاد ومات بلا امرأة تشاركه وتقاسمه رحلة حياته، وربما لو كانت هناك امرأة فى حياته لما كان العقاد... عقاد الفكر والأدب، الراهب فى محرابهما.

إن إغراق السيرة فى واقعيتها، قد انعكست على العقاد فى استحضاره للشخوص. سواء ما كان منها محوريا أو هامشيا، بل إن هذا الإغراق قد وَجَّه النص فى السيرة إلى إخضاع كل شخصية لمجموعة من الوظائف التى توافقها، ونعنى بالتوافق : التوافق العميق، لا مجرد التوافق السطحى أو الهامشى، الذى قد يخفى تحته كما هائلاً من التنافر.

❁❁❁

(١) أنا /١٣٣.

الزمن :

ومن جماليات السرد فى السيرة بروز الوحدة الزمانية فيها وما تعكسه من آثار إيجابية على صاحب السيرة إذ يقول مُنَوِّهاً عن هذه الأهمية : « الذى يعرف قيمة وقته يعرف قيمة حياته ويستحق أن يحيا وأن يملك هذه الثروة التى لا تساويها ثروة الذهب، إن مالك وقته يملك كل شيء، ويصبح فى حياته سيد الأحرار » (١).

عرف العقاد قيمة وقته لأنه أدرك أنه أنفس من الذهب، وأن اللحظة التى تمر لن تعود، ولابد من استغلالها فى عمل مفيد.

ويُعْدُّ العقاد من أكثر كتاب عصره غزارة فى الإنتاج، وهذا يرجع إلى كثرة عمله وتكثيفه، واستغلال أكثر وقته فى القراءة والإطلاع، وكتابة المقالات والكتب ونجد أن ساعات عمله لم تطغ على أوقاته الأخرى، فكان يعطى لكل عمل وقته إذ يقول : « لى وقت للعمل، ولى وقت للرياضة، ولى يوم كل أسبوع أكف فيه عن كل عمل وكل قراءة، حتى مطالعة الصحف، وفض رسائل البريد، ولى مواعيد للطعام والنوم، لا تختل فى يوم، ولى قاعدة عامة تشمل العمل والرياضة والطعام والجد واللهو والبطالة، وهى التوسط بين الإفراط والتفريط » (٢).

لقد كان العقاد نظاميا فى كل مرحلة من مراحل حياته. وهذه الحياة النظامية أفقدته بهجة مرحلة الطفولة، وما فيها من لهو ومشاغبة، وكأننا عهدنا العقاد شيخا فى شبابه، وهذا ما شعر به، إذ يقول : « كنت شيخا فى شبابى، فلا عجب أن أكون شابا فى الشيخوخة. وأصح من هذا أن أقول : إننى كنت شيخا فى طفولتي.

(١) أنا / ٩٤.
(٢) السابق / ١٠٣.

ومن جماليات السرد المستخدم لقياس مراحله الزمنية التي حددها فى سيرته، بنهمه للمعرفة « المقياس الوحيد الذى أقيس به حياتى هو النَّهَمُ إلى المعرفة ».

وهذا المقياس يخالف المقاييس العامة وهى الشعور بالهمة والنشاط والطموح، والهوى. وكلها مقاييس زمنية مرحلية عامة.

وقد برع العقاد فى توظيف « الزمن » فى سيرته توظيفا مثالياً إذ وجدناه وقد قسم مراحل حياته تبعا لسنوات عمره. حتى ولو لم يعش بعضها الحياة المألوفة، ومن هذه التقسيمات الواردة فى السيرة.

- مرحلة طفولته.
- مرحلة شبابه والتى بدأها بالعمل فى الحكومة وتنقله بين الوزارات والدواوين.
- مرحلة الأربعين وقد جعل لها وقفة خاصة بكونها مرحلة انتقالية من غليان الشباب إلى الجنوح للاستقرار.
- مرحلة الخمسين.
- مرحلة الستين.
- مرحلة السبعين.

وهذا التقسيم والترتيب الزمنى الوارد فى السيرة من الأمور الميسرة على المتلقى فإذا أراد معرفة مرحلة ما منها، فما عليه إلا استخراجها بكل سهولة ويسر [1].

- ويتجلى « العقاد » فى السرد الزمنى لكل مرحلة بأسلوب العالم النفسى المدرك لعوارض وأحداث كل مرحلة، « أما فى المسائل النفسية، فالذى

(١) أنا / ١٠٠.

أجزم به أن الزمن لا يغير عناصر النفس الأصلية ولا يزيد عليها ولا ينقص ».

- وتظهر جماليات السرد فى وصفه لبعض المتغيرات الطارئة التى حدثت له ؛ ذلك لأن العقاد عاش كل هذه المراحل. « كل ما فى نفسى من أخلاق وشهوات أحسستها فى إبان الشباب – كنت أراها فى العشرين، وفى الخامسة والعشرين، وفى الثلاثين وفى الأربعين »(١).
- ولم يخف على العقاد وهو الأديب الكبير، أن يطلعنا فى سيرته على «العوارض الزمنية » التى مر بها، فالزمن كما يعطى يأخذ. « أحمد الله، لم يتغير من ذلك شيء إلا قوة النظر على طول القراءة، فليس فى طاقتى اليوم أن أثابر على القراءة أكثر من ساعة واحدة ثم أستريح هنيهة قبل أن أعاودها، وقد كانت تطول فى إبَّان الشباب بضع ساعات متواصلات » (٢).
- ولم نلحظ على « العقاد » فى سيرته عوارض أخرى حتى فى أواخر سنوات عمره، وجدناه فياضا بالحيوية والشباب « ولم يخْلُ شبابى من الشيخوخة فمن الحق ألا تخلو شيخوختى من الشباب ».

الزمن النفسى « السيكولوجى » :

كانت حياة « العقاد » حافلة بالإنجازات والأحداث،التى لو أراد التوقف عندها لاحتاج إلى عدة أجزاء لكتابة سيرته، فكل عمل من أعماله كانت له وقفاته ومراحله ولو وقف عند كل محطة من محطات هذه الإنجازات، لأفرد مجلدات. ومن الفترات الزمنية المؤثرة فى حياة ونفس العقاد، فترة استقالته من وظيفته الحكومية، فكان لها انعكاس نفسي عليه.

(١) أنا / ١٥٤.
(٢) السابق / ١٠٣.

وفترة دخوله السجن لاتهامه بالعيب بالذات الملكية، كان لها أثرها فى نفسيته، إذ زادته إصرارا وعزيمة وثباتا على موقفه. وفترة فشل حبه لميّ وسارة، جعلته يزداد يقينا وشموخاً فى نفسه لأنه هو الذى وضع نهاية لهذا الحب المتداعي المتهالك. فلم يحزن، ولم يندم ولم ينكسر، فكل ما قابله من أزمات طيلة حياته، زاده قوة وصلابة.

أما حادثة وفاة أمه وصديقه المازنى فهما من الحوادث المؤلمة المؤثرة فى نفس العقاد، والتى استغرق حزنه بسببها وقتا غير هين إذ يقول : « لما توفيت والدتى رحمها الله، لم أدخل غرفتها طيلة الوقت حتى الآن كي لا أراها فارغة منها، حتى الشوارع التى كنت أغشاها مع صديقـي (المازنى) – رحمه الله – لم أستطع أن أغشاها بعد مماته وصرت أتجنب ما يذكرنى بفجيعتى فيهما حتى لا أحزن من جديد»[1].

الترتيب الزمنى للأحداث :

« راعى العقاد فى معظم صفحات سيرته «الترتيب الزمنى » للأحداث، ولكنه فى مواضع قليلة وجدناه يخل بهذا الترتيب ويلجأ إلى « السرد الاستشرافى » أو « السرد الاستذكارى » فبعد حديثه عن مراحله الأولى من طفولته وتعليمه، وجدناه يتبع هذا الحديث بذكر الأسباب التى جعلته كاتبا، ثم يعقبها بحديثه عن تركه لوظيفته الحكومية ثم يتحدث عن قلمه أو أقلامه، ويتذكر الأسباب التى جعلته ناجحاً. وبعدها تستدعيه ذاكرته فيتحدث عن أيامه فى السجن، إذ يقول : « وأُصْبتُ فى السجن بنزلة حنجرية حادة، حرمتنى النوم، وسلبتنى الراحة، ولم تزل هذه النزلة الحنجرية عندى مقدمة لأخطر الأمراض، كما حدث قبل نَيِّفٍ وعشرين سنة، و نجوت منها يومئذ بمعجزات العلاج والعناية وتبديل الهواء.

(١) أنا / ٢٣.

تلحظ الارتداد السردى للحدث « الماضى » واستحضاره فى الذاكرة، وقد وفق العقاد باستدعاء هذا الحدث، الذى تابعناه معه بحب استطلاع وشغف فكنا جميعا نسأل عن سبب ارتدائه للكوفية صيفا وشتاءً إذ يقول :

« ومن أجل هذه النزلة الحنجرية ألبس فى الشتاء تلك الكوفية، التى علقتها الصحف الفكاهية فى رقبتى، لا تحل عنها فى صيف أو شتاء، ولا فى صبح أو مساء، أو شكت أن تكون من علامات تحقيق الشخصية قبل الملامح والأعضاء » [١].

ومن الأحداث الاستشرافية التى يستلهمها من ذاكرته الحاضرة مرتدة إلى الماضى :

رسالة « ماجور ديكسون » وهو أحد السائحين الإنجليز الذين تعرف عليهم العقاد وهو فى « أسوان » وكان وقتئذ تلميذا بالمدرسة وقد ارتبط بصداقة مع العقاد، الذى كان يترجم له ما يريد أن يعرفه، وبعد رحلته عاد إلى بلده، وأرسل رسالته للعقاد ومعها كتابان : أحدهما ترجمة القرآن، والآخر كتاب كارليل عن الثورة الفرنسية يقول العقاد :

« هو الوحيد الذى اختار لى هذا الاختيار، ولا أزال أذكره كلما توسعت فى القراءة، فعلمت أنها تقوم فى الأغلب الأعم على هذين القطبين من المطالعة، أصول العقائد، وفلسفة الثورات الاجتماعية من وجهة البطولة والأبطال » [٢].

وتتوالى الأحداث فى ذاكرة « العقاد » فيسرد منها ما تمثل أمامه وكأنه حادثا فى لحظته، ويتذكر بعضها فيذكر ويصف ما تلحقه به ذاكرته دون مراعاة لترتيب زمنى، وهذا الأمر لا يخل بالناحية الفنية للسيرة، لأن أحداثها قد يكون متتاليا وقد يكون متفرقا، وهذا الارتداد الزمنى للوراء يكون سببا فى إخراج السارد من « الحدث » على نحو متكرر، وهذا يعنى « حدة الذاكرة » التى تميز

(١) أنا / ١٧.
(٢) أنا / ٤٢.

العارفين، لأنها تتيح لهم مساحة واسعة فى الزمان والمكان، يتحركون فيها ببواطنهم حركة توازي حركتهم الجسدية. وهذا ما طبقه العقاد فى سيرته إذ استطاع أن يصل بين الصورة الداخلية لحياته ومنعكساتها فى الخارج.

الوقفات الوصفية :

احتشدت السيرة الذاتية للعقاد بوقفات وصفية كثيرة،كادت تجعل من السرد المحكى سرداً وصفياً مرئياً على صفحات السيرة، وهذا يرجع إلى قدرة العقاد الفائقة فى تجسيده للحكيّ والتناغم والتلاحم الذى يضفيه على أجواء الحدث، وتتابع هذه الأحداث فى كل مرحلة من مراحله العمرية.

* فالوقفة الأولى كانت فى مرحلة طفولته وهو فى العاشرة من عمره، عندما سجل لنا بكاميرا الكاتب المبدع صورة لأول فتاة أعجبته إذ يقول : « لو أننى مصور لاستطعت اليوم أن أصور هذه الفتاة من الذاكرة، فلا أخطئ منها لمحة يثبتها المصور على قرطاسه، ولست أذكر اليوم نقوش كسوتها، ولكننى إذا أثبتها بجملتها لم تخالف ما يثبته المصور من نقوش الكساء على البعد، ويقنع به الناظرون » [١].

* ومن وقفاته بل من تتبعاته الوصفية وهو طفل. تتبعه لأسراب الطيور فى السماء ومراقبته للحيوان فى الأرض « كان فضاء بلدى أسوان يمتلئ فى أوائل الشتاء و أوائل الصيف بأسراب الطير المهاجرة إلى إفريقية الوسطى، أو القافلة من الهجرة، فاتفق إننى تتبعت سربا منها، وهو يحط على الأرض ويرتفع عنها حتى ضللت الطريق فى الصحراء، وعدت إلى المنزل بعد هبوط الظلام»[٢].

ونلمح تعدد الوقفات فى الفصل الأخير من سيرته، لأن فيه سردا وصفيا لكل جزء من أجزاء بيته: فى مكتبته، وفى حجراته، وبين ربوع صوره على

(١) نفس السابق / ٣٩.
(٢) أنا / ٦٢.

جدارنه.... وهذه الوقفات تضفى على السيرة جمالاً وإبداعا إلى جانب عنصر الحركة فيشعر القارئ معها بالترحال المشهود، الذى يخرجه من حالة السأم والملل إلى التشويق والإثارة.

❁❁❁

المكان :

لا نكاد نشعر بوجود أماكن متعددة فى سيرة « العقاد » إذ عرفناه، لا يميل إلى الترحال أو الانتقال من مكان إلى مكان، حتى سفرياته كانت محدودة. ومن أكثر الأماكن التى ذكرها فى سيرته بلدته – أسوان – البلد التى ولد وعاش فيها قرابة خمسةَ عشرَ عاماً قبل رحيله إلى القاهرة.

كانت « أسوان » بمثابة الهيكل الفِقَري للسيرة، ففيها عاش أجمل أيام طفولته وبين أرجائها وآثارها عرف تاريخ بلده. « فيها من ذكرى العلم، كما فيها من ذكرى الحرب والسياسة، فعرفت فيها أصدق الأرصاد عن جُرْمِ الشمس بعد المسيح بقرابة ألفى سنة، ولا تزال فى جزيرتها بئر يدلونك عليها ويقولون لك إنها البئر التى نظر فيها « أراتوستين » علامة زمانه فى علوم السماء، حين قاس زاوية الأرض من الإسكندرية إلى أسوان » (١).

نلحظ الجمال السردي الوصفي للمكان – أسوان – الذى أطلعنا العقاد على عالمها الداخلى والخارجى، السطحى والعميق، حتى أنه أنشأ بينه وبين المكان علاقة حميمة « ولدت فيها بمشيئة القدر، ولو أننى ملكت الأمر، لولدت فيها بمشيئتى لأنها الموطن الذي يستفاد منه خير ما آثرته لنفسي من النظر إلى الحياة » (٢).

إن – أسوان – قد استحالت – فى منطق الحكي – إلى كيان متضخم فى نفس العقاد إذ جعل هذا التضخم مساحة للإرسال والاستقبال على صعيد واحد. « كانت إلى ذلك العهد تسمى « الثغر» لأنها تزدحم ازدحام الثغور الحافلة بطلاب العلم وطلاب التجارة وطلاب اللهو والفراغ، وفيها يقول كمال الدين جعفر بن ثعلب :

(١) أنا / ٣٤.
(٢) نفس السابق / ٣٥.

أَسْـــوَانُ فـــى الأرض نِصْـــفُ دائـــرةٍ الخيـــرُ فِيهـــا والشَّـــرُ قَـــدْ جُمِعَـــا

تَصْـــــلُحُ للنَّاسِـــــكِ التَّقِـــــىّ إِذَا أَقَـــــامَ والفَاتِـــــكِ الخَلِيـــــعِ مَعَـــــا

هنا إشارة إلى أهمية المكان، فالمكان يتسع لاستيعاب مجموعة من الشخوص التى سبق وأن ذكرها ابن ثعلب فى أبياته ويشاركه العقاد إذ يقول :

« فى أسوان من أهل أسوان فضلاً عن الغرباء عنها عصبة أمم صغيرة بتجاور فيها من ينتمى إلى الفراعنة ومن ينتمى إلى العرب، ومن ينتمى إلى البجاة، وتسأل عن نسب الأسرة فيدلك عنوانها على أصل من الفرس، أو من الترك، أومن المجر أو من البوشناق، أو من العباسيين العبيديين، لأنهم جميعاً وفدوا إليها مع قوافل التجارة،أو مع سرايا الجيوش،أو مع اللائذين الناجين بأنفسهم من تقلب الدول وتنازع الحكومات » (١).

نلحظ أن الغرباء الوافدين على « أسوان » إذا لم يدخلوا فى علاقة كاملة معها فإنها تلفظهم، وبخاصة إذا انقطعت العلاقات التى جاءت بهم إليها.

استطاع العقاد أن يوظف المكان توظيفاً جيداً فى « سيرته » حيث طغى السرد الوصفي فى كل مكان ذهب إليه العقاد.

لقد عمل العقاد فى الزقازيق فترة، ثم انتقل إلى القاهرة بحثا عن عمل حكومى ومكث فيها أكثر من ستين عاماً، وأصبح جزءا لا يتجزأ من علاماتها ولكن كان انتماؤه لأسوان باديا واضحا « إذا ذكرت أسوان بلدتى، جاز لى أن أذكرها فأقول مدرستي،لأننى كما أسلفت أَدينُ بالإنسانية فى الأدب، وبالعالمية فى السياسة، وبالوطن الذى تتسع له آفاق الفكر وآفاق الشعور » (٢).

(١) أنا / ٣٦.

(٢) نفس السابق / ٣٦.

اللغة :

استخدم العقاد فى معظم صفحات سيرته « ضمير المتكلم » إذ يقول : «صعدتُ إلى المستشفى وأنا أعتقد أن الخطر الأكبر قد زال أوهان ».

« تخرجت فى المدارس، ثم جئت إلى القاهرة للكشف الطبي »

« بدأت الكتابة بموضوعات الإنشاء فى المدرسة »

« ذهبت إلى سعد زغلول فى ديوان المعارف لأستطلع رأيه »

« نسيت أننى أكتب فى السياسة »

« كنت فى الثالثة يوم جربت رحلتى النيلية للمرة الأولى »

واستخدامه « لضمير المتكلم » فى سيرته دون غيره من الضمائر الأخرى يدل على مركزية حضوره فى السيرة، فهو السارد والراوى وهو الشاهد والقاضي ؛ ولأن كاتب السيرة يكتب سيرته رجوعاً من الحاضر إلى الماضى وجدنا كثرة استخدامه « للأفعال الماضوية ».

ولغة السيرة فى « أنا » هى لغة فصيحة ومشرقة وسهلة فى آن، لغة تنكر فى سهولتها المراتب، لأنها تتوجه إلى القارئ العام. ومن هنا وجدنا فى مواضع قليلة استخدام المؤلف للهجة العامية، من مثل قوله على لسان إحدى جاراتهم مهنئة والدته بحلول العيد.

« يعود عليك كل سنة بخير، أنت وصغيرك وصاحب بيتك والحاضرين و الغائبين فى حفظ الله ».

وتتجلى واقعية « العقاد » فى سرده اللغوى عندما ينقل إلينا بعض العبارات التى تتداولها معظم الأمهات فى البيوت المصرية العادية ليلة العيد فيقول على لسان والدته :

تعالى يا ولد... اذهب يا مسخوط، الحق ادخل الحمام، مع تسبيحه أو اثنتين من قبيل : إن شاء الله ما لبست،إن شاء الله ما استحميت.

ويأتى ترديد الجواب المألوف من إحدى الجارات الحاضرات « بعد الشر بعيد عن السامعين !! [١].

كان يمكن للعقاد أن يأتى بعبارات فصيحة مستخدما لغة عربية بليغة، ولكنه أدرك جماليات هذه اللغة العفوية، وما تضيفه على هذا المشهد من أثر يبعث الحيوية والحركة والواقعية.

ومن جماليات اللغة فى سيرة العقاد. الاقتباس من القرآن الكريم، والتى تكسب الحدث ثراءً لغويا مثل حديث الشيخ وهو فى المسجد عن نعم الله على عباده إذ كان يردد دائماً قوله تعالى : « المَال والبنون زينة الحياة الدنيا ».

ودائما ما كان العقاد يردد قوله تعالى : « وعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شيئاً وهو خَيْر لكم » أثناء انتقاله من وظيفة إلى أخرى.

ولم يكتف فى سيرته بالاقتباس من القرآن الكريم، بل كان يدعم بعض المواقف والأحداث بأبيات من الشعر، قد يكون من نظمه،أو من نظم غيره من الشعراء فيقول فى رثاء قلمه المفقود :

أَمَـــا وَقَـــدْ فَارَقْتَنَـــا يَـــا قَلَـــمْ وَصَـــالحَ اليَـــأْسُ عليـــكَ الأَلَـــمْ
فخَيْـــرُ مَـــا أَرجُـــوُه ألا تُـــرَى فـــى كَـــفّ خَـــوَّانٍ ولا مُـــتَّهَمْ
ولا تَخُـــطَّ الجَهْـــلَ فـــي صَـــفْحَةٍ أَبـــيضُ مَـــا فِيهـــا سَـــواد الحِمِـــمْ
ولا تَكُـــــنْ يَـــــاقَلَمِى آلـــــةً تَشْـــتُمُنِى بِـــاللَّغْوِ فِـــيمَنْ شَـــتَمْ
بَـــدَأْتَ فِـــى الأَوْج فَـــلاَ تَنْحَـــدِرْ إِلـى حَضـيضِ الـذُّلَ فـى المُخْتَـتَمْ [٢]

ويتذكر قول ابن سينا وهو يخطو أول خطوة فى سجنه :

دُخُـــوْلِى بـــاليقين○ بِـــلا امْتِـــرَاءِ وكَـــلُّ الشَّـــكِّ فـــى أمـــرِ الخُـــرُوج [١]

ويقول العقاد بعضا من أبيات ديوانه الأول من قصيدة « الشاعر الأعمى »

(١) أنا / ٤٣.
(٢) أنا / ٦٧.

شَـكَا الشَّـاعُر البَـاكِي عَمَـىً قَـدْ أَصَـابَهُ وأَظْلَـمُ مَـا نَـالَ العَمَـى جَفْـنُ شَـاعِر

ثم ينعى الشاعر قسمته فى الحياة إذ يقول :

جَمَعْتُ شقاءَ العينِ فى ظُلْمَةِ الرَّدَى فَيَـالى مِـنْ مَيّـتٍ شَـقِى الخَـوَاطِر
أَرَى الصُّـبْح وَهَّاجَـاً بمُقْلَـة نَـائِمَ وَيَلْحَظُـه قَلْبِـى بِحَسْـرِة سَـاهِرِ
فَمَـنْ لِـى إلـى هَـذَا الوُجُـودِ بِـَظْرةٍ أَرَاهُ وَلَـمْ يُعْـمِ التُّـرَابُ بَصَـائِرِي

ويقول من قصيدة الشاعر المحدث الضرير فرنسيس فتح الله مراش :

هَـلْ عَـادَ عِنْـدَكَ يَـا زَمَـانُ بِـعَـادِي خطبـاً تُعَانِـدُنِى بِـهِ وتُعَـادِي ؟[٢]

وهذه الأبيات تضفى على ما يصاحبها من مواقف وأحداث رونقا وجمالاً وإبداعاً وتسلية وتسرية وثراءً فياضاً لما تحمله من معنى وهذا ما وضحه العقاد فى سيرته إذ يقول : « إن خمسين صفحة من القصة لا تعطيك المحصول الذى يعطيكه بيت كهذا البيت »

كَـأَنَّ فُـؤَادِى فـى مَخَالِـبِ طَـائِر إِذَا ذُكِـرَتْ لَيْلَـى يَشّـدُّ بِـهِ قَبْضَـا

أو هذا البيت :

لَـيْسَ يَـدْرِى أَصُـنْعُ إِنْـسٍ لجـنٍّ سَـكَنُوهُ أَمْ صُـنْعُ جِـنٍّ لإِنْـسِ [٣]

❁❁❁

استطاع العقاد أن يستخدم الكلمة الموجهة للجمال السردى فى السيرة والتى يتواصل بها مع القارئ مثل الحِكم الصائبة التى يتجلى فيها الجمال اللغوى والبيان البلاغى الهادف من مثل قوله :

- العواطف المُزَيَّفة أروج فى هذه الدنيا من العواطف الصحيحة.

(١) نفس السابق / ١١٣.
(٢) نفس السابق / ١٢٠، ١٢٢.
(٣) أنا / ١٨٤.

- المعرفة التى لا عمل وراءها ولا شعور فيها خير منها عدمها.
- تفسير الخليقة بمشيئة الخالق المريد أوضح من كل تفسير يقول به الماديون.
- لا تقنط من طيبة الناس كل القنوط، ولا تُعَوِّلْ عليهم كل التعويل.
- ساعة من الغبطة ببلوغ الكمال هى غاية ما تصبو إليه النفس من مراتب السعاة وساعة من تبكيت الضمير على النفس هى غاية ما تتحدر إليه النفس من الشقاء.

❁❁❁

ومن جماليات السرد فى السيرة الذاتية للعقاد « الحوار » الذى تكون اللغة هى الأداة الأساسية فيه. ومن المألوف أن يورد العقاد مركزية رئيسية للحوار فى سيرته لأنه يتواصل مع الآخرين، ويتفاعل معهم،وهذا لا يتم بدون حوار، ونلحظ أن الحوار يكون متغيرا فى لغته حسب مقتضى مناسبته مما يكسب السرد جمالاً وإبداعا : مثل سرده للحوار الذى دار بينه وبين جدته فى يوم العيد :

سَأَلتَ جدتى فى شيء من اللهفة :

- ما الخبر ياولدى ؟ لماذا لم تلبس ثوبك الجديد ؟ ألم يحضروا لك ثيابا جديدة ؟
- بلى : إنهم قد أحضروها، ولكننى أبيت أن آخذها من يد بنتك.. لأنها تشتمنا، وتزعق فينا.
- فابتمست وهى تعرف بنتها حق المعرفة، وصاحت.
- بنتى وكيف كانت القصة ؟
- فأعدت عليها القصة مرددا كلمات السخط التى أغضبتني، فسألت.
- أكان أحد من الجيران عندكم فى تلك الساعة ؟
- كثيرات... فلانة وفلانة

- فلم تمهلنى أن أتم أسماء جاراتنا اللآتى تعرفهن، وجعلت تربت على كتفى وتقول : إنت العاقل ياعباس تقول هذا ؟إن أمك لا تبغضك، ولا تدعو عليك، ولكنها تصرف النظر [1].

❁❁❁

وفق العقاد فى صياغة هذا الحوار الذى بدا طبيعيا فلم يكن مجرد سؤال وجواب بل نقل لنا صورة حية للبيئة وما فيها من عادات وتقاليد، فكان التوظيف الحوارى جيداً، خاصة من جانب العقاد ، إذا استخدم فى حواره مع الجدة بعض الألفاظ التى تعلن عن غضبه وقتئذ مثل « بنتك تشتمنا وتزعق فينا»

ويتعدد الحوار فى سيرة العقاد والذى يمزج أحيانا بالسرد مثل قوله : نظر صاحبى إلى يمينه، وأوشك أن يجفل جفلة الخوف، لأنه رأى هنالك تمثاليْ بومتين دقيقتين يحفُّان بالساعة الصغيرة عن اليمين وعن الشمال وقال : رب هذا من ذاك ؟

ثم قال : ترى لو دخل صاحبك ابن الرومى من هذه الحجرة، ونظر إلى هذين التمثالين المخيفين ماذا يصنع ياترى ؟

قلت : لا شك أنه كان ناكصاً على عقبيه على الأثر، وإن كنت قد وضعت هذين التمثالين فى موضعهما، وحديث الشؤم كله لأجله هو جزاه الله.

وفق العقاد فى المزج بين السرد والحوار مما أضفى على هذه الصورة الحوارية الجمال والإبداع.

(١) أنا / ٤٤.

الأسلوب :

إن المقولة الشهيرة « الأسلوب هو الرجل» أو الأديب هو الرجل، تتوافق أكثر ما يكون على أسلوب العقاد. لقد عرف العقاد بأسلوبه القوى الرصين في كتاباته ومؤلفاته، حتى إن البعض أخذ عليه ظاهرة الغموض والتعقيد أحياناً في كتاباته.

وكتاباته ومؤلفاته لا تخلو من التعقيد ولكن ليس التعقيد الذى يقصده الكاتب تغطية لجهله، أو لعدم إلمامه بموضوع ما يكتب إلماما كافياً لكى يخدع جمهور القراء من نقص مادته العلمية بما يريده أن يدخل فى روعهم قصورا فى فهمهم هُم ولكنه « صاحب قدرة نادرة على التركيب لا تلبث أن تلتمع الخطرة فى ذهنه من بين جملة المشاهد العادية، وتنطلق أحاسيسه من عِقالها لتبرز على صورة لمحات ذاتية بين سطوره » (١).

ونستطيع أن نذكر

أن العقاد كان يكتب كما يتكلم ويتكلم كما يفكر مباشرة دون تأنق فى العبارة، لأنه كان يعلم أن السيرة من الفنون الأدبية التى يقرأها المثقف وغيره من عامة الشعب، فلابد من مراعاة الفوارق الذهنية والفكرية... « وهذا ما كان يتبعه فى مقالاته، فأسلوبه الصحفي أحيانا يصل إلى رقة تكاد تنزلق على شفا الهزل والعبق حين يولع بالسجع سخرية واستخفافاً (٢).

إذن خلا أسلوب السيرة من الغموض والتعقيد، وأضفى عليها كاتبنا جمالاً وإبداعا من خلال التشبيهات الكثيرة الواردة بين فصولها من مثل قوله عندما سئل عن شعوره بالحياة فى الستين ".. إنه شعور الحب لا مراءَ، ولكنه حب غير حب الحياة فى ريعان الشباب، لأن الحياة لا تخدع الشيخ فى الستين بالأبيض

(١) مجلة الثقافة « مقال لعبد الفتاح الديدى / عدد ٢٧ / ١٠ / ١٩٦٢ م.

(٢) العقاد « دراسة وتحية / طائفة من رواد الفكر / ص ١١٩ / ط. دار الجيل للطباعة – الفجالة القاهرة.

والأحمر والكحل والطلاء، ولا تطمع منه فى حب كحب المعشوقة الفاتنة، تروعه بما تبديه وما تخفيه [١].

ومن الجماليات الأسلوبية فى السيرة العقادية. كثرة الاستفهام الذى يحقق القيمة الجمالية، والوصول إلى الحقيقة والاستزادة من المعرفة، والبعد عن العبارات المعتادة الرتيبة

من مثل : أين فلسفة الأديان من قصيدة غزل وقصيدة هجاء ؟

أين ترجمة فرد من تاريخ أمة ؟

ماذا يبقى من تاريخ الإنسانية، لولا الفارغون الذين اتسعت أوقاتهم للبذخ والترف بين الحلى والحلل فى ظلال القصور ؟

ويسأل على لسان أديب زاره فى مكتبه ووجد عنده كتبا عن الحشرات :

مالك أنت والحشرات ؟ إنك تكتب فى الأدب، وما إليه، فأيَّةُ علاقة للحشرات بالشعر والنقد والاجتماع ؟ [٢].

غلب على أسلوب العقاد طابع التحليلية النفسية، وقد ظهر هذا الأسلوب كثيراً فى « السيرة » وقد عاب عليه البعض اتباعه لهذه الطريقة خاصة أن فنية السيرة تقوم على « السرد القصصى أكثر من التحليل والتعليل ».

وفي تقديري أن العقاد كان يعي ما يكتبه جيداً، وقد علم أن اتباعه للطريقة التحليلية التعليلية هى أفضل الطرق الأدبية اتباعاً لفن السيرة لأن كاتبها يعمل على تحليل الذات وهى (الأنا) وتحليل الشخصيات المتصلة بالذات الإنسانية، هذا إلى جانب سرد الأساليب التعليلية لتوضيح المواقف وتفسير العبر. ليفهم المُتَلَقِّى « الجوانية » والخارجية الخاصة « بالذات ».

(١) أنا / ١٦٧.

(٢) أنا / ٦٨.

* ومن جماليات الأسلوب فى « أنا »:-

أسلوب المكاشفة أو التعرية وصولا إلى ما يسمى بالأدب الاعترافي الذى يصور فيه الأديب حياته الباطنية وسيرته الذاتية عقليا وانفعاليا، والخارجة من منظور رؤاه هو، حيث ينبع من الداخل متجها إلى الخارج، وفيه نتعرف على الأصالة والطلاقة والمرونة فى سمات الأديب المبدع، فتصبح سيرته صورة من صور الاتصال الذاتى بين الفرد وذاته على نحو ما يتمثل فى الشعور والوعي، والفكر والوجدان، والعمليات النفسية والداخلية إذ يقول :

« اعترف بالخصائص النفسية التى تدل الناس على بعض الحقائق فى الطبيعة الإنسانية، وذلك – ولا ريب – أجدى من الاعتراف بالعيوب والخطايا التى يتشابه فيها أبناء آدم وحواء. وتكثر اعترافاته إذ يقول:

- اعترف أننى مطبوع على الانطواء وأننى – مع هذا – خَالٍ بحمد الله من العقد النفسية الشائعة بين الكثيرين من أندادى.
- اعترف أننى أقول ما أريد حين أريد.
- اعترف أننى لا أعرف التوسط بين الحب والكراهية.
- اعترف بأن عنان النفس يفلت من يدى فى حالات كثيرة، ولكنها حالات أراجعها أحيانا فلا آسف لإفلاته.
- اعترف بأنى أُحبُّ الشهرة والخلود، ولكننى أعترف كذلك بأننى لا أطلبهما بثمن يَهِيض من كرامتى،وأننى إذا أحسست أن إنسانا يمتن على بشهادة يبذلها،أو بشهادة يمنعها فلا نصيبَ له عندى غير التحدى الذى يذهب به إلى الحائط.

لقد برع العقاد فى سرد اعترافاته، التى سجل أكثرها فعرَّفنا من خلالها على " **الجوانية الذاتية** " فيه والتى تناولت الأبعاد الثلاثة له – الداخل والخارج والفوق.

فغدت سيرة العقاد أشبه بشجرة كبيرة، لها جذورها المتأصلة فى أعماق التربة تستمد منها الغذاء الحى الكامن فى الأرض، وساق ضخمة تدفع هذا الغذاء إلى الأعلى حيث النور والهواء.

❁❁❁

الخاتمة

- أوضحت الدراسة أن فن "السيرة الذاتية" يختلف فى مفهومه عن الترجمة الذاتية، وأن هذا الخلط يقع فيه الكثيرين، والفرق بينهما قائم على الإيجاز والإطناب.
- بيّنت الدراسة عراقة وقدم فن "السيرة الذاتية" وجذوره العربية القديمة منذ الفرعنة إلى عصرنا، وقد عُد هذا الفن مصدرا رئيساً أمد الفن القصصى بتقنيات السرد، كما تجلى إبداعه فى حليته الفنية فى أواخر القرن الثامن عشر.
- كشفت الدراسة الدوافع النفسية التى دفعت العقاد لكتابة سيرته الذاتية إذ أراد أن يكشف عن هويته الأثيرة "للأنا" من جميع الوجوه، ويدفع عنه الآراء المغلوطة والصور المعكوسة.
- أظهرت الدراسة الجوانب المهمة فى حياة العقاد الإنسان، فقد كان محباً للحياة على الرغم من متاعبها وأذاها، وعلى الرغم مما عاناه من أمراض وشدائد إلا أنه كان يحب المعرفة، ويغرم بها، ويحب أن يصل إليها، وتصل إليه ولو تحت التراب، وقد ظل حبه للحياة والمعرفة مستمرا حتى لحظاته الأخيرة.
- كشفت الدراسة معاناة العقاد فى عمله وتنقلاته العديدة وتقلب الأحوال عليه، وقد صرح بأن هذه المعاناة نعمة لأنها نفعته فى تربية نفسه من فترات الهدوء والاستقر ار، كما أحاطته علماً بكثير من الأمور فى بلده وكانت المادة عنده لا تساوى حياته الروحية الفياضة بعواطف الحب حب الإنسانية والمثل والقيمة والرحمة بالضعفاء والمساكين.
- بينت الدراسة "العقاد الأديب النموذجى العصامي الذى شق طريقه فى الحياة بقلمه وأَبَى أن تكون صناعة أخرى غير صناعة الكتابة منها يعيش، وعليها يعتمد فى رزقه، فعلى الرغم من أنه لم يترك من متاع الدنيا لورثته

غير كتبه إلا أنه بهذا الموقف، استطاع أن يثبت للعالم كله "أن صناعة الكتابة مهنة ووظيفة إلى جانب كونها رسالة وشرفا.

- أظهرت الدراسة أن "السيرة الذاتية" فن لا بمقدار صلتها بالخيال، وإنما تقوم على خطة أو رسم أو بناء، وعلى ذلك فهي ليست من الأدب المستمد من الخيال، بل هي أدب تفسيرى، وهذا ما جعل العقاد مَعْنِّياً بغاية محدودة فى اختياره وترتيبه للحقائق، محاولا الكشف عن صراعه مع نفسه ومع الآخرين بعيدا عن الخيال، واضعا شيئا من الحرارة فى الحوار، واقفا مستكشفا ومفسرا لأشياء وأشخاص وجدوا فى الحقيقة.
- أثبتت الدراسة منهج العقاد فى سيرته، إذ اتخذ المنهج التفسيرى التحليلى فى الكشف عن كل جانب من جوانب حياته، ويعد هذا المنهج واحداً من المناهج التى يقوم عليها فن السيرة، كما يتميز عن غيره من المناهج الأخرى، إذ يعمد إليه الأديب ليكون وعاء يصب فيه ما يستدل منه على مراحل حياته المختلفة، وعلى أطوار شخصيتة فى طفولته وصباه وشبابه، وفى مرحلة نضجه العقلى الذى أتاح له الدعوة إلى أفكار جديدة.
- كشفت الدراسة عن اهتمام العقاد بسرد الأحداث العامة، إلى جانب الأحداث الإنسانية الخاصة، والتى بنيت عليها حقيقة الانتماء عن العقاد مما أوحى فى بعض الأحيان على اندماج السيرة الغيرية بالسيرة الذاتية.
- أطلعتنا الدراسة على تقدير الذات "عند العقاد الناتجة عن شجاعته فى إبداء الرأى، وهى أسمى الحاجات الضرورية للإنسان، لالبقاء النوع فحسب كحاجته إلى الماء والهواء والأمن المادى من مسكن ملبس، وإنما لتحقيق سعادته، وإذا كانت السعادة تتحقق بالشعور بعطف الآخرين وثنائهم على الإنسان مثلا، فإن العقاد لم ير السعادة فى غير التعبير عن ذاته واحترام أفكاره كما يحترم آراء وأفكار غيره.

- كشفت الدراسة عن منزلة العقاد لدى القلوب والعقول، على الرغم من عزلته واعتكافه، إلا أنه أوجد رابطة قوية ومتينة بينه وبين الناس، من خلال عرض سيرته فى كتاب "أنا" والتى كشفت عن عالمه المجهول، وعن أسراره وخباياه، وعن معاناته وصراعه فى الحياة، وعن أفكاره وآرائه النابعة من أفكار وآراء الناس.
- وضحت الدراسة دفاع العقاد عن العقائد المثلى، والفضائل الكريمة، التى تحفظ للإنسانية معناها النبيل، ولا يكاد يتزحزح قيد شعرة، ذلك لأنه قد ثقف نفسه وراضها، على أن يتضح منها فى كلماته وسلوكه معانى الإنسانية " لقد كان العقاد إنساناً كبيراً ؛ لأنه يترفع عن أن ينال ماليس له حق فيه، وإن جاء إليه طائعاً سلساً.
- بينت الدراسة "عبقرية العقاد" التى لم تأذن له بالخروج عن مبادئ الفضيلة والحق والقوة والخير، سعيا وراء الناس، يسترضيهم، ولكن هذا الإسترضاء، لا يثنيه عن طلب الحق، فهو كالسيل الدافق، يصيب كل منحدر، لايرعى لسفيه متطاول أى اعتبار ما دام قد رضى لنفسه الإنحدار.
- أظهرت الدراسة روح الفكاهة العذبة عند "العقاد" والتى ذكرها واضحة فى بعض مواقفه وتجاربه فى الحياة، والعجيب أنه لم ينس الخلجات النفسية إذا تحدث عن أحد الأشخاص، وكأننا أمام نكتة مسموعة ومرئية.
- أظهرت الدراسة أثر العقاد فى التنوير والتعليم والتثقيف، بكونه رائداً من رواد الوعي الإنسانى فى الشرق، إذا كان أثره بيناً فى حياتنا الروحية أثراً لا سبيل إلى إغفاله، أو التهوين من قدره، بأىّ حال من الأحوال وما من شك فى أن النهضة الفكرية المصرية، قد بلغت بجهده ويقظته مرحلة لم تكن لتبلغها بدونه.
- كشفت الدراسة رؤية العقاد الفلسفية فى عمر الإنسان، الذى لا يُقاسُ بالزمن، إنما يقاس بإنجازاته ونجاحاته وعمله، وقد عاش العقاد أكثر من

سبعين سنة، ما وجدناه في كل مرحلة من مراحل حياته، إلا شابا فتياً سابحا في بحر العلم والمعرفة، باحثا عن كنوزهما. مُفنِّدا الآراء، مسدِدا الثغرات.

- بينت الدراسة عن عقدة العقاد من "الشهادة" إذ لم يحصل على شهادة علياً من معاهد التعليم، فكانت تملكه نزعةُ التعالى، التى يريد أن يثبت بها أنه أعظم من الحاصلين على الشهادات، والدراسين فى الجامعات.
- أوضحت الدراسة تأثر العقاد بأبى العلاء المعرى، الذى دفعه إلى الاقتداء به، والسير على منهجه، وقد تُقمَّص العقاد روحه فأحيا أديب معرة النعمان، وطافا معا فى متاهات القرن العشرين.. وكلاهما أبدع وأجاد فى شرح محميات تلك الحياة.
- بينت الدراسة براعة العقاد وتجلياته الإبداعية والفنية فى سرد سيرته الذاتية، وبدا هذا الإبداع فى مكونات وأسس السيرة واضحاً فى تلقائية الأحداث وتواليها ووضوح الشخصيات وإبراز مكانها الرئيسى والثانوى، كما أشار إلى التأثير الزمانى والمكانى فى مجريات الأحداث، وتجلَّى العقاد فى إبراز اللغة إذا لمسنا مذاقا لغويا خاصاً، كما كان لأسلوبه العميق والمتين أثر واضح فى إبراز سيرته على هذا النحو من الوضوح والصدق.
- كشفت الدراسة عن أسلوب "المكاشفة" الذى اتخذه العقاد منهجاً فى سرد سيرته الذاتية، ويُعد هذا الأسلوب من قبيل الأدب الاعترافى الذى يقوم عليه فن السيرة.
- أظهرت الدراسة إخفاء العقاد لبعض الأحداث المهمة فى حياته وتهميش بعض الشخصيات الرئيسية فى سيرته، على الرغم من تصريحه بها فى بعض مؤلفاته رغم أن ذِكْرَها وعَرْضِها فى سيرته يمثل جزءاً مهما فيها.
- بينت الدراسة الاتجاه العقادى فى سيرته، فلم يتجه إلى سرد قصة إجمالا وتفصيلا، بقدر ما حاول التأمل فى هذه الحياة وتفسيرها وتبريرها، إذ كره

العقاد السياحة فى المكان وآثر عليها السياحة فى النفس، ولعل سيرته الذاتية "أنا" تؤكد أنه آثر أن يستبطن ذاته على أن يحكى قصة حياته، فكان بذلك صادقا مع نفسه فيما اعْتَقَد وفيما كَتَبَ.

- أظهرت الدراسة قيمة حياة العقاد، إذ كانت حياته أشبه بالتاريخ وآثاره رسالة، وخلقه قدوة، وكفالة ثروة، وخسارته إنسانية لا خسارة قومية، ومصاب أمة لا مصاب أسرة، وفجيعة منفعة لا فجيعة عاطفة.

❁❁❁

المصادر والمراجع

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبعة
١	ابن الرومي "حياته من شعره"	عباس محمود العقاد	الطبعة الرابعة ١٩٥٧م
٢	اتجاهات الأدب العربى فى السنين المائة الأخيرة	محمود تيمور	الطبعة النموذجية
٣	أدباء فى صور صحفية	محمد نصر	مصر ١٩٦٥م
٤	أطياف من حياة "مي"	طاهر الطناحى	(مجلة الهلال) عدد مارس ١٩٧٤م
٥	الأدب العربى المعاصر فى مصر	شوقى ضيف	دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة
٦	التاريخ والسير	حسن فوزى النجار	دار القلم ١٩٦٤م
٧	التراجم والسير	محمد عبدالغنى حسن	دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٠ الطبعة الثالثة
٨	الترجمة الشخصية	شوقى ضيف	دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٧ الطبعة الرابعة
٩	السيرة الذاتية فى الأدب العراقى الحديث منذ مطلع القرن الحادي عشر حتى بداية الحرب العالمية الثانية	إنعام عبدالله شعبان	الجامعة المستنصرية بغداد ١٩٩٠م
١٠	السيرة الذاتية فى الأدب العربى	محمود أبو الخير	(مجلة الأفكار) عدد٤٩ سنة ١٩٨٠م
١١	السيرة الذاتية فى الأدب العربى الحديث	يحي إبراهيم عبدالدايم	مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٥ الطبعة الأولى
١٢	السيرة الذاتية "ميثاق وتاريخ"	فيليب لوجون (عمر حاجى)	المركز الثقافى العربى ١٩٩٤م الأولى
١٣	السير تاريخ وفن	عبدالعزيز شرف	مكتبة لبنان الشركة المصرية اتلعالمية للنشر
١٤	العقاد "الرجل والقلم"	أحمد ماهر البقري	دار المعارف ١٩٨٤م الثانية
١٥	العقاد " دراسة وتحية"	طائف من رواد الفكر	دار الجيل للطباعة – الفجالة "القاهرة"

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبعة
١٦	العقاد "معاركة فى السياسة والأدب"	عامر العقاد	دار الشعب
١٧	العقاد "موقف وأعمال"	سامح كريم	مجلة الإذاعة والتليفزيون عدد "M" ١٩٧٥م
١٨	العقاد وقضية الشعر	محمد طاهر الجبلاوى	
١٩	النقد العربى الحديث ومذاهبه	محمد عبدالمنعم خفاجي	
٢٠	" أنـا"	عباس محمود العقاد	نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
٢١	بلاغة السرد	محمد عبدالمطلب	الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠١م
٢٢	بين الكتب والناس	عباس محمود العقاد	دار الغندور –بيروت– ١٩٦٦م
٢٣	تطور الرواية العربية الحديثة فى مصر (١٨٧٠ –١٩٣٨)	عبدالمحسن طه بدر	دار المعارف
٢٤	حواء واربعة عمالقة	صوفى عبدالله	الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م
٢٥	حياة قلم	عباس محمود العقاد	دار الكتاب العربى –بيروت– لبنان
٢٦	خلاصة اليومية	عباس محمود العقاد	
٢٧	دائرة المعارف الإسلامية	سليمان باشا الشام	مركز الشارقة
٢٨	دراسات فى الرواية المصرية	على الراعي	الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٩	دراسات فى الشعر العربى المعاصر	شوقي ضيف	دار المعارف بمصر "العاشرة"
٣٠	رجعة أبى العلاء	مجلة الهلال	١٩٦٦م
٣١	رواد الشعر الحديث فى مصر	مختار الوكيل	دار المعارف بمصر
٣٢	ساره	عباس محمود العقاد	نهضة مصر
٣٣	ساعات بين الكتب	عباس محمود العقاد	دار المعارف الطبعة الأولى

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبعة
٣٤	سيرة الغائب سيرة الآتى	شكرى المبخوت	دار الجنوب للنشر والتوزيع ١٩٩٢
٣٥	شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى	عباس محمود العقاد	
٣٦	فى بيتى	عباس محمود العقاد	دار المعارف (اقرأ ٣٣) أغسطس ١٩٤٥م
٣٧	فى صحبة العقاد	محمد طاهر الجبلاوى	دار الجيل القاهرة ١٩٦٤م
٣٨	قضايا الشعر المعاصر	سعد عبيس	دار الكتاب الحديث
٣٩	كتابة الذات	حاتم الصكر	دار الشروق – كمان – الأردن ١٩٩٤- "الأولى"
٤٠	لسان العرب	ابن منظور	
٤١	ماذا يبقى منهم التاريخ	صلاح عبدالصبور	دار الكتاب العربى بالقاهرة ١٩٦٨م
٤٢	مشكلة الإنسان	زكريا إبراهيم	ط القاهرة
٤٣	مع العقاد	شوقي ضيف	دار المعارف
٤٤	مع العقاد فى ظل العقيدة الوطنية	محمد طاهر الجبلاوى	العلوم القاهرة ١٩٧١م
٤٥	معجم الصحاح	إسماعيل بن حماد الجوهرى	
٤٦	من ذكرياتى فى صحبة العقاد	محمد طاهر الجبلاوى	الفنية الحديثة القاهرة ١٩٦٧م
٤٧	مراجعة فى الآداب والفنون	عباس محمود العقاد	دار لبنان – بيروت – ١٩٦٦م
٤٨	نشأة النقد الأدبى فى مصر	عز الدين الأمير	دار المعارف بمصر
٤٩	نظريات فى فكر العقاد	عثمان أمين	
٥٠	وحي الأربعين	عباس محمود العقاد	١٩٣٣م

المصادر والمراجع

(الجرائد والمجلات)

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبعة
٥١	جريدة الأخبار	مقال للأستاذ/فهمى عبداللطيف	١٩٦٤/٣/١٣م
٥٢	جريدة الأخبار	مقال للأستاذ/ لويس عوض	١٩٦٦/٤/٢م
٥٣	جريدة الجمهورية	مقال للأستاذة/ عواطف عبدالجليل	عدد (١١) ١٩٦٤/٣/١٦
٥٤	مجلة الثقافة	مقال للأستاذ / عبدالفتاح الديدى	عدد ١٩٦٢/١٠/٢٧م
٥٥	مجلة الرسالة		عدد ١٩٦٥/٣/١٨م
٥٦	مجلة الهلال	مقال "لعباس محمود العقاد"	عدد يونيه ١٩٦٧م
٥٧	مجلة قافلة الزيت	شركة أرامكو بمدينة الطهران السعودية	

فهرس الموضوعات

الموضــــــــــوع	الصفحة
التقديم	١٠٩
تمهيد	١١٢
أسباب كتابة السيرة الذاتية	١١٨
المبحث الأول : رصد الواقع من خلال « أنا » للعقاد	١٢٠
الطفولة والنشأة	١٢٢
الأساتذة واستشفاف المستقبل	١٢٧
عمله فى الحكومة	١٣٣
عمله بالصحافة	١٣٥
عمله بالتدريس	١٣٧
التكوين الثقافى والمعرفى	١٣٨
تجارب ومواقف	١٤٣
مراحل العمر	١٥٤
المبحث الثانى : جماليات السرد الأدبى فى كتاب «أنا»	١٥٩
شخصية الأستاذ	١٦٦
شخصيات من وحى الذاكرة	١٦٨
الشخصيات النسوية	١٧٠
الزمن	١٧٣

الموضـــــــــــوع	الصفحة
الترتيب الزمنى للأحداث	١٧٦
الوقفات الوصفية	١٧٨
المكان	١٨٠
اللغة	١٨٢
الأسلوب	١٨٧
الخاتمة	١٩١
المصادر والمراجع.....	١٩٦
(الجرائد والمجلات)	١٩٩
فهرس المحتويات.....	٢٠٠